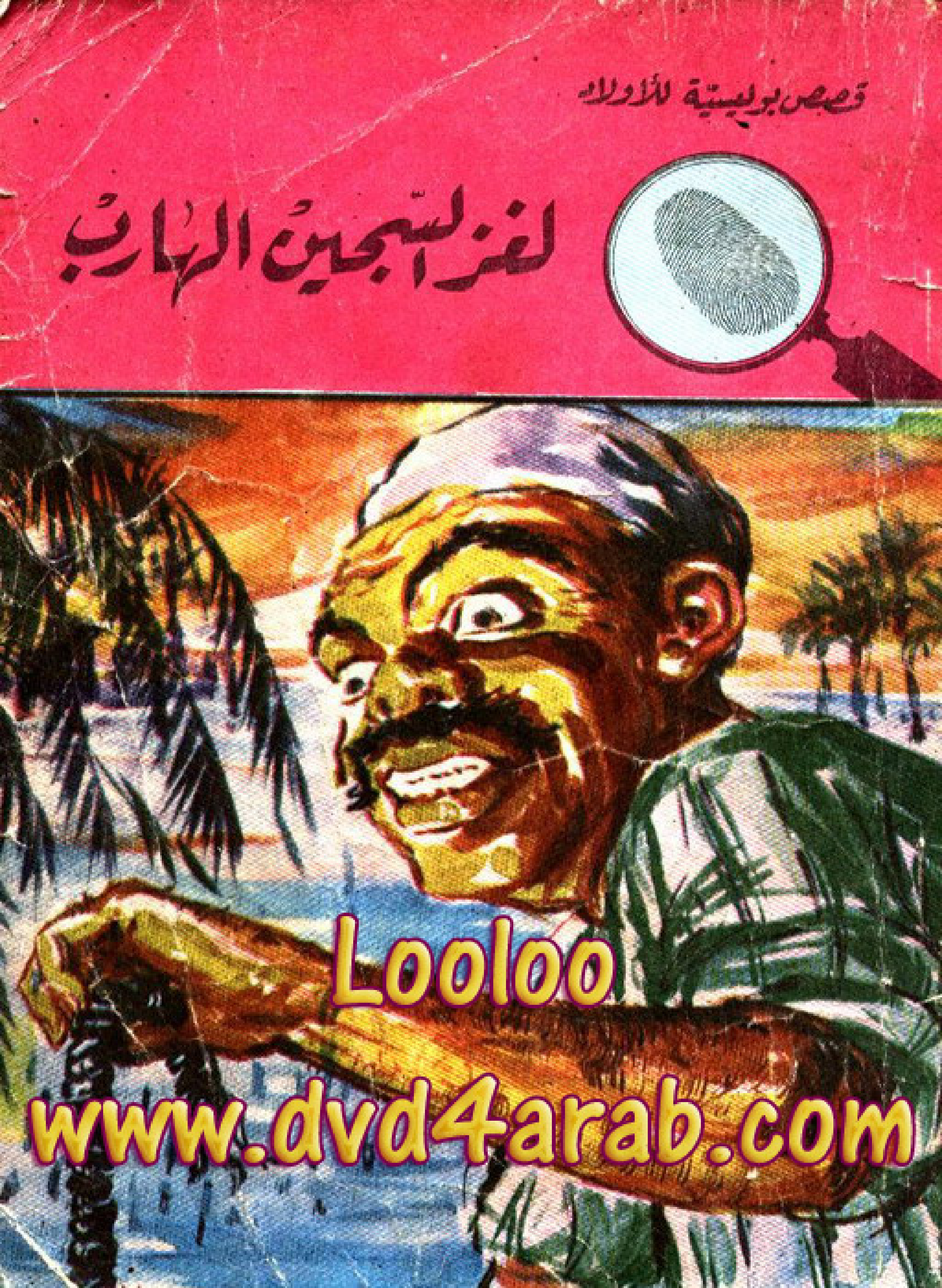

قصص بوليسية للأولاد
لغز السجين الهارب
Looloo
www.dvd4arab.com

هدوء غريب



فلفل

كان الهدوء يخيم على منزل الدكتور " مصطفى " وكأنه قد خلا من أهله . . فلا صوت . . ولا حركة . . ولا وقع أقدام تنتقل من غرفة إلى أخرى !!

يا ترى ماذا حدث ؟!

وماذا ألم بالمخبرين الأربعة ؟!

أين ضجيجهم ؟ وصخبهم ؟ وضحكاتهم التى كانت تردد فى أركان المنزل فتضفى عليه جواً من السعادة والمرح ؟ !

وفجأة فُتِح أحد الأبواب . . فقطع صوته الصمت . . إنه الدكتور " مصطفى " قد خرج من مكتبه ووقف يجول ببصره فى أنحاء المنزل . . ولم يكن يعتاد هذا الصمت الغريب . . ونادى زوجته : يا " علية " . . يا " علية " !

ظهرت السيدة " علية " بعد لحظات قادمة من ناحية

المطبخ . . حيث كانت تشرف على طهى طعام الغداء . . وهى تمسح يدها فى منشفة صغيرة .

وما إن رآها زوجها حتى سألها : ما هذا الهدوء الغريب يا " علية " ؟ ثم انفرج وجهه عن ابتسامة وقال : يبدو أننى قد اعتدت العمل فى الضوضاء !! أين الأولاد ؟

ضحكت السيدة " علية " من قلبها . . وكان زوجها ينظر إليها بعينين متسائلتين . . وقالت : إنك ما زلت على عادتك يا " مصطفى " تنسى كل شىء عندما تكون منهمكاً فى البحث أو الدراسة . . ألا تذكر أننى قد قلت لك إن " خالد " و" طارق " و" مشيرة " قد ذهبوا لقضاء عدة أيام عند أسرة صديقة لوالديهم ؟

فأجابها : نعم . . نعم . . لقد تذكرت الآن . . ولكن أين " فلفل " ؟

فردت زوجته : لا أعرف !! ربما تكون فى حجرتها . . ثم التفتت إلى الناحية الأخرى ونادت : " فلفل " . . " فلفل " . .

وحضرت " فلفل " فى هدوء غريب لم يألفه والداها . . وخلفها " فهد " مطأطئ الرأس متثاقلاً . .

فقالت لها والدتها : أين أنت يا " فلفل " ؟ ! لا أسكت الله لك صوتاً ، ماذا كنت تفعلين ؟ !

فأجابتها بصوت تحمل نبراته أمارات الملل : لم أكن أفعل شيئاً . . لقد كنت أجلس فى حجرتى .

ونظرت السيدة " علية " إلى زوجها نظرة فهم معناها . . أن " فلفل " تشعر بالوحدة بدون أولاد خالتها !!

أراد الدكتور " مصطفى " أن يبعث السرور فى قلبها الصغير فقال : ما رأيك لو سافرت إلى عمتك لقضاء بضعة أيام فى عزبتها بالفيوم ؟ !

رفعت له " فلفل " عيناها وعلى وجهها شبه ابتسامة ، فلقد أثر فيها أن يحاول والدها — برغم مشاغله الكثيرة — أن يخرجها من عزلتها .

ولكنها قالت له : لا أعتقد أن هناك داعياً للسفر فإننى أفضل أن أقضى معكما الإجازة . . علاوة على أننى لن أجد هناك من ألعب معه .

وبينما هم يتحدثون دق جرس التليفون ، فاتجهت " فلفل " للرد عليه فى تثاقل ومن خلفها " فهد " وكأنه ظلها .

وفجأة صاحت فى سعادة : " مشيرة " !! كيف حالك ؟ لقد

اشتقت أنا أيضاً لكم .. ماذا؟ ستعودون اليوم ! ! . إننى فى انتظاركم وعندى لكم مفاجأة .

وضعت " فلفل " سماعة التليفون ثم انطلقت تجرى . . وتنزلق على أرض البهو المصقولة اللامعة . . حتى وصلت إلى والديها . . ولكنها لم تستطع أن تسيطر على اندفاعها ، فارتطمت بوالدتها التى تلقفتها ضاحكة بذراعين مفتوحتين وكان " فهد " ينبح وكأن سعادة صديقته قد انعكست عليه .

قال الدكتور " مصطفى " : ما هذه السعادة الغامرة التى هبطت عليك من السماء فجأة يا " فلفل " ؟!



فأجابته باسمة : إن أولاد خالتى سوف يعودون اليوم !

فقاطعتها والدتها قائلة : ولكنى سمعتك تتحدثين عن مفاجأة . . . . يا ترى ما هى ؟!

فضحكت " فلفل " وقالت بخبث : لقد قررت أن آخذ بنصيحة بابا . . وأن أذهب لقضاء بضعة أيام من إجازة العيد عند عمتى فى الفيوم . . ولكن مع تعديل بسيط هو أنه سيكون معى أولاد خالتى . . فهذه فرصة مناسبة لكى نقضى جزءاً من إجازة نصف السنة هناك بدلا من قضائها بأكملها هنا فى القاهرة .

فأجابها والدها : إنها ستسعد بكم كثيراً . . فهى تعيش بمفردها بعد أن توفى زوجها وتزوج أولادها جميعاً . .

ثم التفت إلى زوجته قائلا: هيا اتصلى يا " علية " بأختى " خديجة " ورتبى معها كل شىء . . ثم نظر إلى بنته بحب وإعزاز بعد أن عادت إليها ابتسامتها وبريق عينيها .

الرحلة



سادت الحركة منزل الدكتور " مصطفى " مرة أخرى . . فالكل يستعد لرحلة الغد إلى الفيوم . . وترددت الكلمات هنا وهناك واختلطت الأصوات ، الكل يتحدث فى آن واحد . . لا أحد يستمع للآخر ، بل تساؤلات وردود وضحكات ورواح . . وغدو . . فلقد وقف " خالد " و " طارق " و " فلفل " و " مشيرة " . . كل يعد حقيبته . . ودادة " سنية " لا تكف عن التنقل بينهم ، فتساعد هذه وتذكر ذاك بأخذ ما يلزمه من ملابس .

لم يكف المخبرون الأربعة عن الحديث طوال ساعات النهار حتى وهم يتناولون طعام الغداء .. فيسأل " طارق " ابنة خالته : هل عزبة عمتك فى الفيوم نفسها يا " فلفل " ؟

فلفل : لا ، إنها على بعد بضعة كيلومترات من المدينة .

خالد : وهل سبق أن زرت معالم المنطقة السياحية ؟

فلفل : نعم . . لقد زرت عين السيلين والسواقى السبع فى مرة من المرات .. ولكن يسعدنى أن أصحبكم لزيارة هذه المعالم السياحية مرة أخرى .

خالد : إذن نقوم برحلة لزيارة هذه المعالم بعد أن نصل إلى هناك .

فلفل : كما أننا يجب ألا ننسى بحيرة قارون .. فالتجديف فيها متعة حقيقية .

مشيرة ضاحكة : طبعًا ، فهى رياضتك المفضلة .

مضت ساعات النهار فى الترتيبات والاتصالات بعمة " فلفل " وأعد كل شىء للسفر فى اليوم التالى .

ومع إشراقة الفجر الأولى استيقظ المخبرون الأربعة . . فرحين منفعلين، فبعد وقت قصير يخرجون فى رحلة جديدة .

وفى سيارة الدكتور " مصطفى " انطلق بهم الأسطى " على " السائق إلى الفيوم ، وقد جلس " خالد " بجانبه على المقعد الأمامى .. أما الثلاثة الآخرون فقد جلسوا على المقعد الخلفى وإلى جانبهم " فهد " بعد أن رفض القبوع فى أرض

السيارة ، وأصر على أن يجلس بجانبهم على المقعد نفسه حتى يراقب الطريق .

كان الجو لطيفاً مشمساً . . والسماء صافية برغم برودة الجو . . فشتاء مصر معتدل فى أغلب الأوقات .

مرت أكثر من ساعتين والسيارة تسير وسط صحراء مترامية الأطراف . . وبدأ الأولاد يشعرون بالملل . . فأسند بعضهم رأسه وأغمض عينيه . . على حين ركز البعض الآخر بصره على الطريق وفكره سارح فى شىء أو آخر . . أما " فهد" فكان قد ضاق بطول المسافة . . فقبع فى أرض السيارة أخيراً فى انتظار انتهاء هذا المشوار الطويل .

وفجأة انتبه الجميع على صوت الأسطى "على" يقول : انظروا ! إن الطريق يتفرع هنا إلى فرعين طريق إلى أوبرج الفيوم وبحيرة قارون التى تستطيعون رؤيتها من هنا . . . وطريق إلى مدينة الفيوم نفسها .

أسرع الأربعة يطلون من نوافذ السيارة . . حتى " فهد" أحس بالحركة فنهض من مكانه وقام ينظر هو الآخر نحو البحيرة التى كانت تبدو فى الأفق البعيد . . وبعد مدينة الفيوم بعدة كيلومترات توقفت السيارة أمام فيلا صغيرة تحيط بها

أشجار الفاكهة والنخيل .

وما إن وطأت أقدام الأولاد الأرض . . حتى سمعوا صوتاً ضعيفاً يناديهم من شرفة المنزل . . ورفع الكل أنظارهم إلى أعلى . . كان الصوت لعمة "فلفل" التى وقفت تطل برأسها الأشيب ووجهها الطيب الذى تركت السنون عليه آثارها . . وقالت لهم مرحبة : أهلا . . أهلا . . الحمد لله على السلامة .

ترك الأولاد أمتعتهم ليتولى أمرها الأسطى "على" واندفعوا خلف ابنة خالتهم نحو الڤيلا . . ثم السلم الداخلى المؤدى إلى الدور العلوى . . وفى لحظات كانوا جميعاً — حتى " فهد" — عند السيدة " خديجة" .

واستقبلتهم السيدة والفرحة مرسومة على وجهها . . فلقد مضى وقت طويل منذ أن رأتهم أخيراً . . فهى لا تترك منزلها إلا فى القليل النادر لأنها تكره الانتقال . . كما تكره حياة المدينة الصاخبة . . وصافحتهم الواحد بعد الآخر فى حنو ومحبة . . حتى " فهد" مسحت على رأسه وربتت على ظهره .

ولم تمض لحظات حتى دخلت إحدى الفلاحات وهى تحمل صينية عليها أكواب من المرطبات وطبق من الفطير .

فقال " طارق " باسماً وهو يتناول إحداها فى نهم :



ما هذا الفطير اللذيذ ياعمتى ؟ ! إذا كان الحال سيستمر هكذا فأعتقد أننا سوف نقضى عندك جميع الإجازات !

ضحكت السيدة "خديجة" وقالت : إن ذلك يسعدنى يا "طارق" . . . ولكن الأمر يتوقف عليكم أنتم . . وعلى مدى احتمالكم لهدوء الريف .

ولكنها لم تكن تعلم أنهم قادرون على الاستمتاع بكل لحظة تمر بهم حتى لو كانوا فى هذا المكان الريفى الهادئ .

مضى النهار سريعاً بين ترتيب الأمتعة . . والتجول فى الحديقة المحيطة بالمنزل . . وما إن أوشكت الساعة على التاسعة مساء

حتى بدأ الأولاد يتثاءبون ، فقد غالبهم النعاس على الرغم منهم لعناء السفر ، وانسحب الواحد بعد الآخر إلى حجرات النوم . . وفى لحظات عاد الهدوء يخيم على البيت مرة أخرى .

* * *

وفى الصباح ، ومع صيحات الديكة المنبعثة من حظيرة دواجن فى فناء المنزل ، وجد الأولاد أنفسهم مضطرين للقيام من النوم . . كانت "مشيرة" و"فلفل" أول من استيقظ . . وبسرعة ارتديتا ملابسهما . . ونزلتا إلى الطابق الأرضى لإعداد الشاى قبل أن يستيقظ الآخرون . . ولكنهم فوجئوا بالعمة "خديجة" تجلس فى الشرفة المطلة على الحديقة . . فاتجهت إليها الفتاتان . . قالت "فلفل" : صباح الخير يا عمتى . . أتستيقظين كل يوم فى هذه الساعة المبكرة ؟ !

فأجابتها عمتها بصوتها الحنون الضعيف : إن أجمل ما فى الريف هو ساعات النهار الأولى . . هيا اجلسا واستمتعا معى بشرب الشاى واللبن الطازج فى هذا الجو الهادئ الجميل .

ثم التفتت تنادى : يا "فاطمة" . . يا "فاطمة" . . أحضرى الشاى واللبن لـ"فلفل" و"مشيرة" .

وبعد لحظات حضرت "فاطمة" وهى تحمل صينية عليها

أكواب من الشاى وإبريق ملىء باللبن . . كانت فى حوالى العشرين من عمرها . . رقيقة الملامح . . تلبس زيًّا ريفيًّا بسيطًا . . ولكن برغم بساطته كان جميلا زاهى الألوان .

وما كادت الفتاتان تستقران إلى جانب السيدة " خديجة " . . حتى سمعتا وقع أقدام " خالد " و " طارق " تنزل السلم الداخلى .

فنادتهما " فلفل " قائلة : " خالد " . . " طارق " . . إننا نجلس هنا مع عمتى فى الشرفة . .

أحاط الأولاد بالسيدة " خديجة " وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث وهم يشربون الشاى واللبن .

خالد : ما رأيكم لو قضينا اليوم فى التعرف على طبيعة هذه المنطقة والتجول بين قراها وحقولها ؟

فلفل : إنها فكرة مناسبة يا " خالد " وبخاصة أن الجو لطيف اليوم .

السيدة خديجة : أريدكم أن تستمتعوا بكل لحظة تقضونها هنا . . فإن الطبيعة فى الفيوم تختلف عن المناطق الريفية الأخرى . . ويا حبذا لو ذهبتم لمشاهدة بحيرة قارون . . إنكم تستطيعون لو أردتم أن تستقلوا الكاريته إلى هناك .

مشيرة : لا يا عمتى إننا نفضل الذهاب سيراً على الأقدام . . فهو رياضتنا المفضلة .

ابتسمت السيدة " خديجة " وقالت : كما تريدون . . إن كل ما أرجوه أن تستمتعوا بوقتكم بقدر الإمكان .

طارق : لدى تعديل بسيط . . ما رأيكم لو أقمنا الليلة فى معسكر بالقرب من البحيرة أو فى أى المناطق الريفية القريبة ؟

السيدة خديجة : لا ، إننى لا أستطيع أن أدعكم تقضون الليل خارج المنزل فى الهواء الطلق .

فلفل : لِمَ يا عمتى ؟! لقد اعتدنا ذلك منذ فترة طويلة وأحضرنا معنا خيمة المعسكرات لهذا الغرض .

فأجابتها عمتها : فليكن . . ولكنى لا أستطيع الموافقة على ذلك بأى حال من الأحوال . . يبدو أنكم قد نسيتم أننا فى فصل الشتاء !!

وهنا تدخلت " فاطمة " التى كانت تجلس على مقربة منهم تستمع لما يدور من حديث قائلة : إن دار أبى لا تبعد كثيراً عن بحيرة قارون . . . . وتستطيعون قضاء الليل هناك . . إنه سيرحب بكم كثيراً .

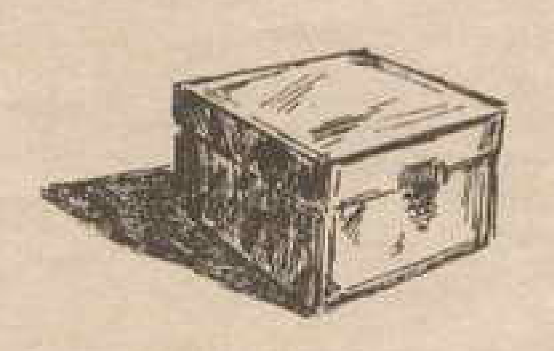
خالد : شكراً لك يا " فاطمة " . . ولكن هذا أمر بعيد الاحتمال .

فردت عليه الفتاة بصوت تغلب عليه نبرات الأسى : ربما لا تريدون قضاء الليل فى منزلنا المتواضع .

خالد : لا . . لقد فهمت خطأ يا " فاطمة " إننا لا نريد الإثقال عليه .

فابتسمت قائلة : ليس هناك إثقال على الإطلاق . . فلقد تزوج أخواى ولم يعد يقيم فى الدار غير والدى ووالدتى . . والدار فسيحة يستطيعان استقبالكم فيها على الرحب والسعة .

مضت المناقشة على هذا المنوال حتى استقر الرأى أخيراً على قضاء الليل فى منزل والد " فاطمة " بعد أن وافقت أخيراً عمة " فلفل " على ذلك كبديل للمعسكر الذى كانوا يودون إقامته فى العراء .



وفجأة انقلب نباح « فهد » إلى صرخات ألم . .
فقد انحشر رأسه بين جذور شجرة ضخمة



فهد

لم تمض ساعة . . أو يزيد ، حتى كان المخبرون الأربعة قد استعدوا للرحلة . . وقد حمل كل منهم على كتفيه حقيبته التى يستخدمها فى الرحلات ، وقد وضع بها احتياجاته الأساسية ، إلى جانب ما زودتهم به السيدة "خديجة" من «السندوتشات» وفطائر لذيذة، على أن يتزودوا بما يحتاجون إليه بعد ذلك فى أثناء الطريق .

كتب "طارق" اسم والد "فاطمة" "الحاج عبد المنعم" وعنوانه فى ورقة صغيرة بعد أن استمع الجميع لوصف مفصل للطريق إلى العزبة التى يسكنها ،وكان الوصول إليها فى حد ذاته بدون سابق معرفة بالمنطقة يثير انفعالهم ويزيد من تطلعهم للرحلة .

وسط مزارع وحقول تناثرت فيها أشجار النخيل هنا وهناك . . سار الأربعة وهم مستمتعون بجو مشمس لطيف .

أما "فهد" فكان يجرى فى انطلاق سعيداً . . فيبتعد عنهم . . ثم يعود إليهم وهو ينبح فى انفعال وكأنه ينادى عليهم للعب معه . . ولكن أحداً منهم لم يلب نداءه . . ولم يفتر ذلك من حماسه أو انطلاقه ، بل على العكس أخذ يعاكس كل ما يقترب منه من حيوانات . . فينبح بجانب الجاموس والبقر الذى يرعى فى هدوء غريب وكأنه يتحدى أحدها للحاق به . . وكان كلما رأى مجموعة من الدواجن اندفع يجرى وسطها فيتردد صياحها . . وتتفرق بعيداً عنه مستغيثة .

كان النهار قد انتصف عندما قالت "فلفل" : هيا بنا نجلس قليلا هنا . . فى هذا المكان الهادئ الجميل .

فأجابتها "مشيرة" وهى تسير فى المؤخرة . . تجر قدميها جراً من شدة التعب : معك حق يا "فلفل" . . فلم أعد أستطيع مواصلة السير .

طارق مداعباً : أنت دائماً هكذا يا "مشيرة" . . تتعبين من السير ولو لخمسة أمتار .

فأجابته فى غضب وقد احمر وجهها : تستطيع أن تواصل

السير أنت إذا لم تكن قد شعرت بالتعب بعد .

طارق : لا . . سوف أجلس معكم ولكن لسبب آخر . . وهو أنى أكاد أموت من الجوع .

قال "خالد" مدافعاً عن أخته الصغيرة : إذا كانت "مشيرة" تتعب من السير . . فأنت لا تنسى الأكل مطلقاً يا "طارق" على عكس "مشيرة" !

ضحك "طارق" من قلبه لهذا التعليق . . فإنه لا ينكر حبه للأكل .

تخيروا مكاناً تحت شجرة وارفة الظل على حافة ترعة صغيرة . . ثم أنزل كل منهم حقيبته من فوق كتفيه وأخرج منها ما يريد من مأكولات . . وجلسوا يأكلون فى استرخاء .

ولأول مرة منذ أن خرجوا فى رحلتهم قبع "فهد" إلى جانب صديقته فى انتظار أن تعطيه نصيبه من الطعام . . وما إن انتهى من التهامة حتى قام يستكشف المكان المحيط بهم . . ولم يلق له الأولاد بالا . . بل انشغلوا عنه بالحديث . . وفجأة انتبهوا على صوته ينبح فى لهو . . فالتفت الجميع ناحيته كان يقف على مقربة منهم بجوار شجرة ضخمة نبتت جذورها على جرف الترعة . . ولكن الطين كان قد انحسر عن معظمها

تاركًا خلفه شعبة من الجذور المتشابكة .

وابتسمت " فلفل " قائلة : لا بد أنه قد رأى فأراً أو قنفذاً لاذ بالفرار والاختفاء داخل هذا الحصن الذى خلقته الطبيعة .

ومرة أخرى انشغلوا عنه بالحديث .. ولكن ما هى إلا لحظات حتى انقلب نباحه اللاهى إلى صرخات ألم .. لقد انحشر رأسه بين الجذور .. وأخذ يحاول التراجع إلى الخلف نابشاً الأرض بأرجله الخلفية .. ولكن كلما زادت محاولاته .. تعذر عليه التخلص من هذا الشرك .

واندفع الجميع نحوه فى لهفة وصاحت " فلفل " فى غضب اختلط بشعورها بالقلق على كلبها العزيز : يا لك من غبى !! كيف أدخلت رأسك بين هذه الجذور الملتوية المتشعبة ؟!

ولم يكن هناك بد من سحبه إلى الوراء .. برغم ما ينطوى عليه ذلك من ألم .. فجذور الشجرة قوية متينة لا يمكن كسرها إلا بآلة حادة .. وأين لهم بهذه الآلة وهم بعيدون عن أية قرية !! وحتى لو استطاعوا الحصول عليها من أحد الفلاحين فى الحقول المجاورة فقد تتحطم مع الجذور رأس " فهد " نفسه .

وبدأ " خالد " يسحبه فى رفق .. وبرغم ذلك كان " فهد " يئن متألماً .. على حين أدخلت " فلفل " يدها بين الجذور من الناحية الأخرى .. محاولة أن تعدل من وضع رأسه لكى يتسنى " لخالد " سحبه إلى الوراء .. كانت تتألم مع كل صرخة تخرج من فمه .. وما إن رأته أمامها أخيراً سليماً معافى حتى بدأت الدموع تنهمر من عينيها بدون أن تدرى لها سبباً .. ربما كان خليطاً من شعورها بالراحة لخروجه سالماً .. أو متنفساً للتوتر الذى عانته فى اللحظات السابقة ..

وبيد حانية بدأت تمسح على رأسه وتتحسس جسده الذى لم يكن به أثر لجرح ظاهرى .. ولكنها ما إن لمست كتفه ورقبته حتى صرخ فى ألم .. فقالت فى لهفة وجزع : مسكين يا " فهد " .. ما الذى يؤلمك إلى هذا الحد ؟!

طارق : لا تبتئسى يا " فلفل " فالأمر لا يعدو رضوضاً بسيطة سوف يبرأ منها بعد ثوان .

ولكن ابنة خالته ظلت مكدرة .. ولم ترفع عينيها عن كلبها المخلص طوال الطريق بعد ذلك .. وزاد من قلقها أنه لم يعد إلى انطلاقه ومرحه السابق ، بل سار إلى جانبهم فى هدوء مثيراً قلق الجميع .. إلا أنهم كتموا شعورهم عن " فلفل " حتى

لا يزيدوا من شقائها .

وفجأة توقفت " فلفل " عن السير وقالت بلهجة حازمة :
إننى لا أستطيع أن أتحمل آلام " فهد " أكثر من ذلك . .
يجب أن أعرضه على طبيب حتى أستطيع مواصلة الرحلة .

طارق : ولكن أين نعثر على هذا الطبيب وسط هذه
الحقول المترامية ؟!

فقالت "مشيرة" محاولة إبعاد القلق عن قلب ابنة خالتها :
ربما تتحسن حالته بعد قليل . . فلا نحتاج إلى طبيب !!

ولم تجبها " فلفل " ولكنها لم تقتنع بكلامها . . فلقد كانت
متأكدة أن هناك ما يؤلم " فهد " ألماً شديداً . . ولكنه
للأسف لا يستطيع الإفصاح عنه . كان " خالد " هو الوحيد
الذى لم يعلق على هذا الحديث بل سار فى صمت يفكر كيف
يتصرفون ؟! إن أول قرية ما زالت على مسافة غير قصيرة . .
والساعة قد جاوزت الثالثة والنصف ، فلقد أمضوا وقتاً طويلا
بين الجلوس لتناول طعام الغداء فى استرخاء مستمتعين بالطبيعة
الريفية الخلابة المحيطة بهم . . وبين محاولة تخليص " فهد "
من المأزق الذى وقع فيه .

وقال للآخرين : إن أمامنا مسافة طويلة قبل أن نصل إلى

القرية التى يقيم بها والد " فاطمة " . . فطبقاً للوصف الذى
أعطتنا إياه . . فإن "الحاج عبد المنعم" يسكن القرية الثانية بعد
عزبة عمتى " خديجة " .

فلفل : ولكننا يجب أن نبحث قبل كل شىء عن طبيب
بيطرى لكى يكشف عما يؤلم " فهد " .

خالد : إن هذا ما أفكر فيه ولكننا فى الوقت نفسه يجب
أن نصل إلى منزل والد " فاطمة " قبل أن يحل الظلام . . فما هى
إلا ساعات وتغيب الشمس .

فرد " طارق " : أعتقد أن من الأفضل لتوفير الوقت
أن نفترق . . اثنان منا يذهبان " بفهد " للطبيب والآخران إلى
منزل الحاج "عبد المنعم" حتى يصلا إليه فى وقت مناسب .

مشيرة : ولكن ما الداعى للافتراق ؟! لماذا لا نذهب
جميعاً " بفهد " للطبيب ؟!

خالد : لأننا قد نتأخر عند الطبيب ، فقد يكون هناك من
يسبقنا فى استشارته .

كانوا قد وصلوا إلى مشارف قرية صغيرة عندما شاهدوا
مقهى متواضعاً يجلس به عدد من الفلاحين . . فقال " خالد " :
هيا بنا نسأل أحد رواد هذا المقهى عما إذا كان فى هذه

المنطقة طبيب بيطرى !

اتجه ومن خلفه الآخرون نحو أحد الجالسين . . وبادره بالتحية ثم سأله : هــل يوجد فى هــذه المنطقة طبيب بيطرى ؟!

فأجابه الرجل بفخر : بالطبع يوجد طبيب بيطرى .. ولكن فى الوحدة الصحية .

فلفل : وهل تبعد هذه الوحدة كثيراً عن هنا ؟!

فأجابها الرجل: لا ، إنها ليست بعيدة .. ولكن لم تبحثون عن طبيب ؟ !

فردت " فلفل " وهى تشير إلى " فهد " : إن كلبى يتألم . . ولا أعرف سببًا واضحًا لألمه .

فأجابها الرجل : إذا كان الأمر كذلك . . تستطيعون الذهاب إلى عم " درويش " إنه يفهم جيداً فى أمراض البقر والجاموس ولن يستعصى عليه أمر هذا الكلب .

خالد : بل إننا نفضل الالتجاء إلى الطبيب .. ياترى أين الطريق للوحدة الصحية ؟ !

فأجابه الرجل وهو يتعجب لعدم اقتناعهم بالذهاب لعم " درويش " الذى لا يقل فى نظره عن الطبيب : إن



الوحدة الصحية على بعد ثلاثة كيلومترات من هنا .. وتستطيعون الذهاب إلى هناك إذا رغبتم . . لقد أردت أن أوفر لكم الوقت .

شكر " خالد " الرجل معبراً له عن امتنانه بما أسدى لهم من نصيحة ثم ابتعد عنه مع الآخرين .. ووقفوا جميعاً يتشاورون من يذهب إلى الوحدة الصحية " بفهد " .. ومن يذهب إلى بيت الحاج " عبد المنعم " قبل أن يحل الظلام .

واستقر رأيهم أخيراً على أن يصحب " طارق " " فلفل " و " فهد " إلى الطبيب .. وأن يذهب الاثنان الآخران إلى منزل والد " فاطمة " .

افترق المخبرون الأربعة . . كل اثنين فى اتجاه . . على أن يلتقوا بعد قليل فى منزل الحاج "عبد المنعم" . . وواصل "خالد" و"مشيرة" السير إلى القرية التالية .. واتجه الآخران نحو الطريق المؤدى إلى الوحدة الصحية .

استوقف "خالد" أحد المارة وسأله عن أقصر الطرق إلى القرية التالية حيث يقيم الحاج "عبد المنعم" .. وبفضول أهل الريف المعهود .. أخذ الرجل يسأل "خالد" عمن يعرف فى هذه القرية .. وعن سبب الزيارة .. وهل هم أقارب الرجل أو معارفه .. و"خالد" يرد فى صبر . . حتى أشبع الرجل فضوله ثم قال وهو يشير إلى اتجاه معين : عليكما أن تسيرا فى هذا الاتجاه حتى تصلا إلى خط سكة الحديد .. فاعبراه .. وستجدان أنفسكما عند مفترق طرق . . فانعطفا يميناً . . ثم واصلا السير . . وبعد قليل ستصلان إلى القرية التى تسألان عنها .

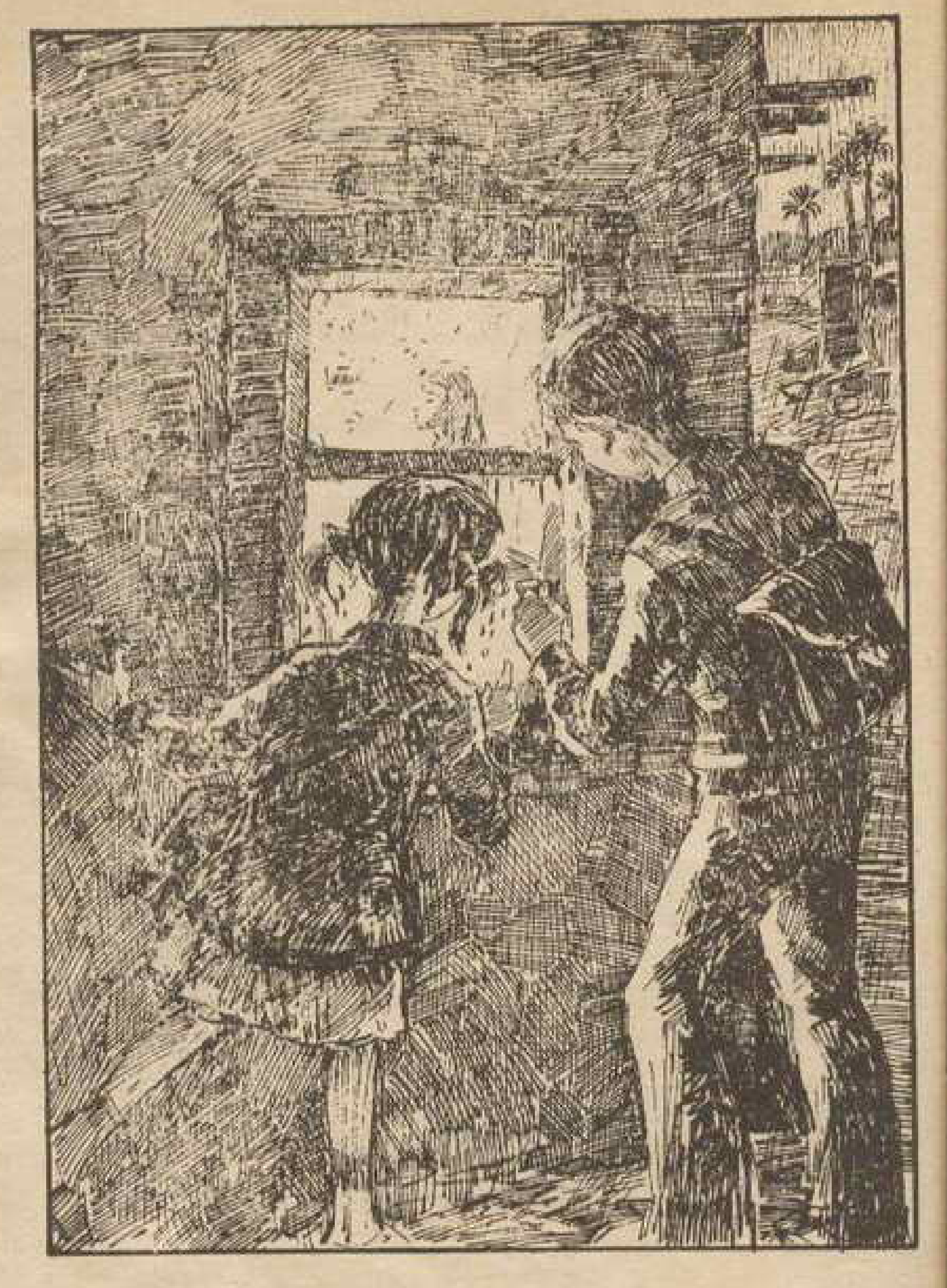
استمع الاثنان إلى وصف الرجل جيداً . . ثم سارا وهما يتحدثان نحو الطريق الذى أشار إليه .

ليلة رهيبة


خالد

كانت الشمس على وشك المغيب.. عندما وصل "خالد" و"مشيرة" إلى خط السكة الحديد ثم مفترق الطرق. ولكنهما ما إن وصلا إلى هناك حتى وقفا مترددين. . فالطريق أمامهما يتفرع إلى ثلاث شعب . . يا ترى أى المسالك يأخذان ؟ ! . . وقفا يتلفتان حولهما علهما يجدان أحداً يسألانه عن الطريق الصحيح إلى عزبة الحاج "عبد المنعم" ولكن الطريق كان خالياً تماماً من المارة . . فلقد عاد أغلب الفلاحين إلى ديارهم بعد يوم من العمل الشاق .

لم تكن العودة مرة ثانية إلى القرية السابقة ممكنة . . فالمسافة ليست قريبة كما كان يدعى الرجل . . فقرر الاثنان أن يعتمدا على فطنتهما وأن يأخذا أقصى الطرق يميناً .



وعلى ضوء مصباح خافت شاهد « خالد » و « مشيرة » سيدة عجوزاً تجلس على أريكة متواضعة

مضى الاثنان فى الدرب الذى اختاراه . . كان خالياً من المارة تماماً ، تحده من الجانبين أشجار عالية ويخيم عليه هدوء غريب لا يبدده غير حفيف أوراق الشجر . . سارا وهما مستمتعان بهذا المكان الساحر . . الذى بدا وكأنه منعزل عن العالم تماماً . . وفجأة . . بدأت سحب داكنة تتجمع فى السماء وزادت برودة الجو وهاجت الريح عاصفة بأغصان الشجر . . وأحالت حفيف أوراقها الساحر إلى أصوات كئيبة موحشة .

وبدأ " خالد " يحث " مشيرة " على إسراع الخطى قائلا : أسرعى قليلا يا " مشيرة " . . فلقد تغير الجو ويبدو أن الأمطار ستسقط بعد قليل !

مشيرة : يبدو أننا قد أخطأنا الطريق إلى قرية الحاج "عبد المنعم" . . لقد كان من الأفضل البقاء مع "فلفل" و"طارق" .

خالد : بل كان من الأفضل أن نصل إلى بيت الرجل الذى سنقضى الليل عنده قبل حلول الظلام . . إنه لا يعرفنا ولم يقابلنا من قبل . . فهل من المعقول أن ندق بابه بعد أن يكون قد أوى إلى فراشه ؟!

أسرع الاثنان فى طريقهما . . ولكن برغم ذلك أحست " مشيرة " فجأة بأن قطرات من الماء تتساقط على وجهها . .

ثم بدأ المطر يسقط خفيفًا فى أول الأمر . . ثم منهمراً فى شدة غريبة . . وأظلمت الدنيا . . وأرعدت السماء ، ومع ذلك ظل " خالد " و"مشيرة " سائرين فى طريقهما برغم ما كانا يشعران به من تعب .

وأثار هذا الجو القاتم القلق فى قلب " مشيرة " فقالت بصوت مهزوز : إننى لا أرى أثراً للقرية التى حدثنا عنها الرجل . . إن "طارق" و"فلفل" لن يستطيعا الوصول إلينا . . لقد كان من الأجدر ألا نتركهما .

وحاول " خالد" جاهداً أن يبعد عنها مخاوفها ولو أنه كان يشعر فى قرارة نفسه بأن الرحلة قد فقدت بهجتها منذ أن أصيب " فهد" بآلام لا يعرفون سببًا لها . . واضطروا أن يسلكوا طريقين مختلفين . . ولكنه قال لها مشجعًا : ما هذا الجبن يا "مشيرة" ؟! وما هذا القلق الذى لا مبرر له ؟ . . لقد مضى الكثير . ولم يبق غير القليل ولن يمض وقت طويل حتى نجد أنفسنا فى منزل الحاج" عبد المنعم" .

إلا أن كلامه لم يبعث الطمأنينة فى قلبها . . وسارت وهى تشعر بالبرد والخوف والتوتر . . فوق طريق أحال المطر ثراه إلى طين وأوحال .

وفجأة لمح الاثنان ضوءاً من بعيد فأسرعا نحوه علهما يجدان عنده مأوى من هذا المطر اللعين .

كان الضوء ينبعث من بيت ريفى صغير يحيط به فناء واسع . . برغم الظلمة الشديدة استطاع الاثنان أن يتبينا على ضوء بطارية " خالد " أن الفناء مهمل تناثرت فيه بعض الصناديق والأدوات الزراعية القديمة المحطمة .

كان البيت مكونًا من طابق واحد مما مكن الاثنين من الوقوف خارج زجاج إحدى النوافذ ومراقبة ما يجرى بالداخل . . وعلى ضوء مصباح صغير مثبت على أحد جدران الحجرة التى أطلا عليها شاهد الاثنان سيدة عجوزاً تجلس على أريكة متواضعة ويبدو أن النعاس كان قد غالبها وهى فى مجلسها هذا فأسندت رأسها على الحائط خلفها واستسلمت للنوم .

دق " خالد" على النافذة فى خفة ، ولكن السيدة ظلت مستغرقة فى نومها ، فأخرج قطعة نقود من جيبه وطرق بها الزجاج عدة مرات ، وبدأت السيدة تتململ فى جلستها ثم أبعدت رأسها عن الحائط وفتحت عينيها وتجولت بهما فى الحجرة فلم تجد أحداً، وهمت بأن تعود إلى نومها مرة أخرى ، ولكن "خالد" دق الزجاج من جديد .

وهنا انتصبت فى جلستها موجهة نظرها نحو النافذة . .
وراعها هذان الرأسان اللذان يطلان عليها من خلف الزجاج . .
وأحس " خالد " و " مشيرة " بفزعها فابتسما لها ابتسامة
عريضة مما أشعرها بقليل من الاطمئنان . . فقامت من
مكانها واتجهت نحوهما وأخذت تتطلع فى وجهيهما ، فى الوقت الذى
كان الاثنان يحاولان فيه إفهامها أن المطر ينهمر وأنهما يريدان
مكانـًا يحتميان فيه .

وأخيراً فتحت الزجاج قائلة : ماذا تريدان ؟

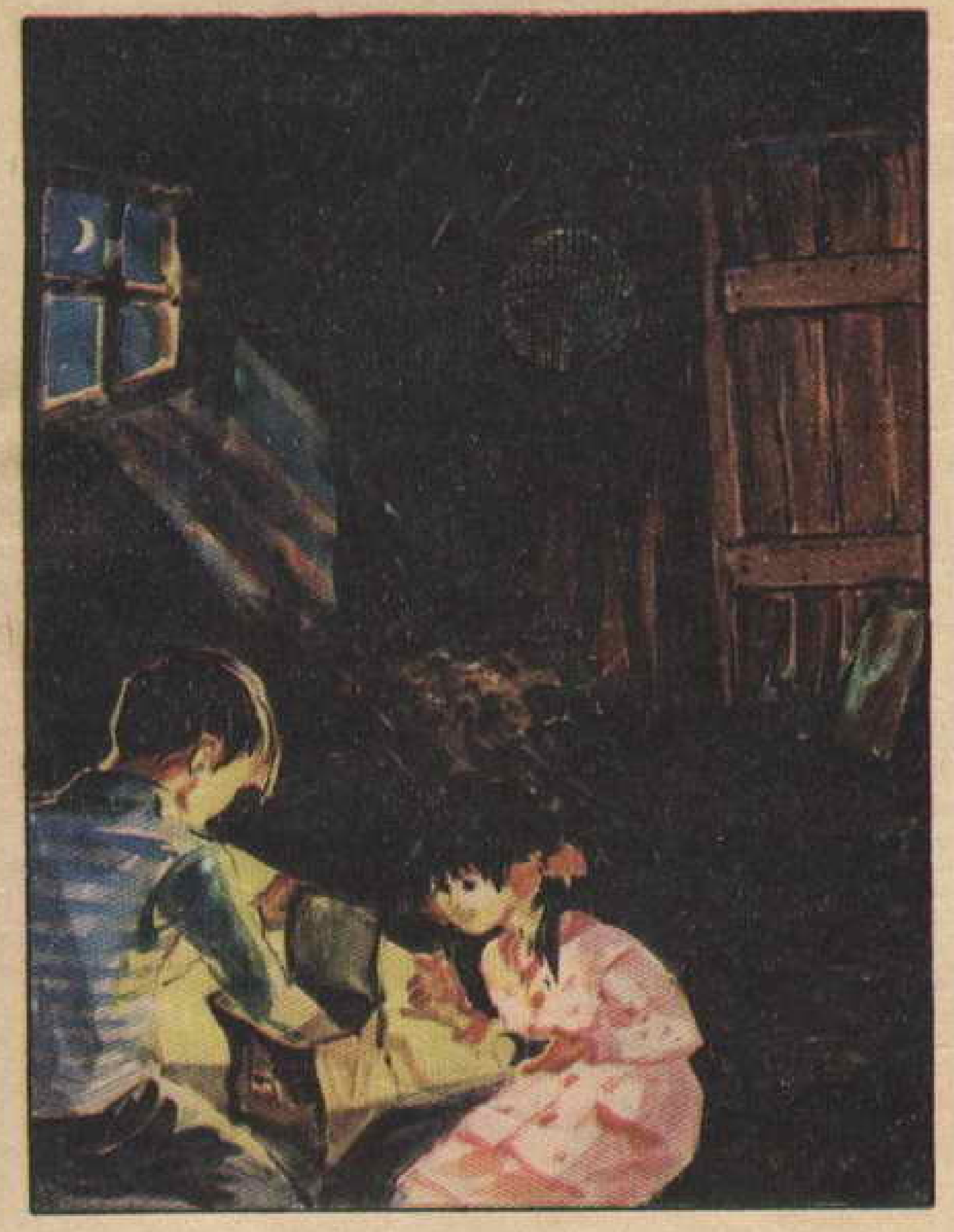
خالد : مساء الخير أولا يا حاجة !

ولكنها قاطعته قائلة بدون أن يبدد أسلوبه المهذب شيئـًا
من مخاوفها : من أين جئتما ؟ ! وماذا تفعلان هنا ؟!

ومرة ثانية حاول " خالد " تهدئتها قائلا : لا تخافى يا حاجة
. . لقد كنا فى طريقنا إلى القرية التالية عندما هطل المطر
فاضطررنا إلى الاحتماء بأول مأوى صادفنا .

إلا أن السيدة صاحت قائلة : ارفع صوتك ، إننى لا أسمع
جيداً ماذا تقول !

ومرة أخرى كرر " خالد " ما قاله بصوت مرتفع واضح
. . وأخيراً أدركت السيدة مقصده . . وللحظات وقفت صامتة



كانت الحظيرة خاوية تماما . .
إلا من كومة قش

تفكر . . ثم قالت : يبدو أنكما قد ضللتما الطريق . . فإن الطريق المؤدى إلى القرية التى تريدون الوصول إليها هو الطريق الثانى من اليمين عند مفترق الطرق .

فقالت " مشيرة " فى أسى : يا لحظنا التعس . . إن " فلفل " و" طارق " لن يستطيعا الوصول إلينا . . وسوف نقضى الوقت يبحث بعضنا عن بعض .

فقاطعها " خالد " قائلا : كفى عن هذا الحديث يا " مشيرة " ، إن المشكلة الآن أن نجد مكانـًا نأوى إليه حتى يتوقف المطر . . ثم التفت إلى السيدة العجوز قائلا : ألا تستطيعين يا حاجة إيواءنا حتى يهدأ المطر قليلا ؟

فأجابته السيدة : يؤسفنى أن أرفض طلبك . . فإن ابنى لا يسمح بدخول الأغراب إلى منزلنا وأنا لا أستطيع مخالفة أوامره . . أرجوكما أن تبتعدا عن هنا قبل أن يأتى .

دهش الاثنان لهذا الرد غير المتوقع . . وهمـّا بالإذعان للأمر الواقع ومواصلة السير برغم المطر . . ولكن السيدة العجوز عادت تقول : هناك حظيرة مهجورة فى فناء البيت تستطيعان قضاء الليل بها إذا أردتما . . ولكن حذار أن يلحظ ابنى وجودكما . . فإننى لا أعرف عواقب ذلك .

نظرت "مشيرة" إلى "خالد" بعينين ملؤهما الخوف والتساؤل . . يا ترى هل يضطران لقضاء الليل فى هذه الحظيرة المهجورة إذا لم يتوقف المطر ؟ ! ولكن لم يكن من السهل البحث عن مكان آخر . . فى هذه الساعة . . مع هذا الجو السيء .

واستسلم الاثنان للأمر الواقع فلم يكن من السهل إقناع السيدة العجوز بالسماح لهما بقضاء الليل فى منزلها . . وسارا فى حذر خوفًا من مقابلة هذا الابن الغريب الأطوار .

وصح قول السيدة . . فلقد وجد الاثنان خلف البيت حظيرة مهجورة يفتح بابها على الفناء الذى يحيط به سور من الأسلاك الشائكة وأشجار التين الشوكى . دفع " خالد " بابها الخشبى بقدمه فانفتح محدثًا صريراً مزعجًا . . فأطبقت "مشيرة" بسرعة على يده . . وعلى ضوء بطاريته وقف الاثنان يتفحصان المكان .

كانت الحظيرة خاوية تمامًا إلا من كومة قش فى أحد الأركان مهملة متداعية . . لها نافذة صغيرة تطل على الحقول خلف فناء المنزل ، ولكنها كانت أفضل من لا شىء . دخل الاثنان ثم أغلق " خالد " الباب مسنداً إياه بحجر كبير وجده بقرب عتبته . . ثم ارتمى هو وأخته على كومة القش منهكين

من التعب . . كانت ملابسهما قد ابتلت تمامًا . . فأخرج كل منهما منشفة من حقيبته وأخذ يمسح بها رأسه وملابسه . . ثم أطفأ " خالد " بطاريته . . وهم بأن يرقد قليلا إلى حين يتوقف المطر عن السقوط .

ولكن " مشيرة " همست بصوت مرتعش : " خالد " . . أرجوك أن تضىء بطاريتك مرة أخرى فإننى أخاف هذه الظلمة فى هذه الحظيرة الخربة .

خالد : ولكننا لا نريد أن يلحظ أحد وجودنا هنا وبخاصة أن الحظيرة بها نافذة صغيرة قد ينبعث منها الضوء أو يظهر من بين شقوق هذا الباب المتهالك فيفتضح أمرنا . . فأنت تعرفين أن أقل ضوء يظهر فى الظلام بكل وضوح .

مشيرة : أرجوك يا " خالد " ، فإننى أريد أن أتناول شيئًا من الطعام . . فإنى أكاد أموت جوعًا .

وشعر " خالد " باضطرابها وبرغبتها فى التعلل بأى سبب لإضاءة البطارية ورق لحالها ولا سيما أنه كان يشعر بالجوع هو الآخر .

ومرة أخرى أضاء " خالد " بطاريته للحظات . . لمدة تسمح بإخراج بعض السندوتشات من حقيبة كل منهما ، ثم جلس

هو وأخته يأكلان فى الظلام وهما يستمعان إلى صوت حبات المطر وهى تتساقط فوق سقف الحظيرة .

وبدأت " مشيرة " تشعر بشىء من الراحة لانشغالها فى عمل ما . . ولو كان مجرد المضغ . . حتى تمر هذه اللحظات الثقيلة ، ولكن هذه الراحة لم تدم طويلا ، وعاد بعدها توترها السابق . . فقالت "لخالد" فى يأس : يبدو أن هذا المطر لن يتوقف ! ولن نستطيع اللحاق "بطارق" و" فلفل " . . يا ترى أين هما الآن ؟ !

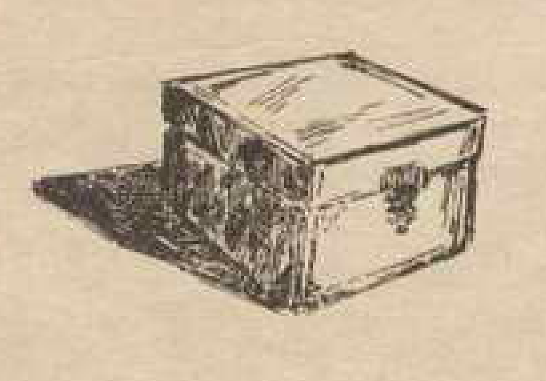
خالد : دعك منهما الآن يا"مشيرة" فلابد أنهما قد تدبرا أمرهما . . وأعتقد أنه من الأفضل أن نقضى الليل هنا حتى الصباح الباكر فنخرج للبحث عن بيت الحاج " عبد المنعم " مرة أخرى .

استسلمت " مشيرة " لهذا الرأى فى النهاية قائلة : إذن أرجوك أن تضىء البطارية للمرة الأخيرة حتى أتبين المكان الذى سأنام فيه .

وللمرة الثالثة أضاء " خالد " بطاريته حتى اعتدلت " مشيرة " فى رقدتها ثم أطفأها ووضع ذراعه تحت رأسه وهم بأن يغمض عينيه . وفجأة !! انتبه على صوت خافت يناديه :

" خالد " . . " خالد " . . وظن أول الأمر أنه يتوهم . . ولكن " مشيرة " انتصبت فى جلستها وقالت له هامسة : إن أحداً ينادى عليك يا " خالد " . . من وراء هذه النافذة الخشبية !

يا ترى من المنادى ؟!!إن هذا ليس صوت " فلفل " أو " طارق " . . ولكن . . من الذى يعرف اسمه فى هذا المكان الموحش ؟ ظل" خالد " فى مكانه متوخياً الحيطة حتى يتأكد من شخصية صاحب الصوت . . يا ترى من الذى يعرف أنهما هنا غير السيدة العجوز ؟ أو ربما ابنها !! ولكن " خالد " عاد فرفض الفكرة . . فما الذى يدعو هذا الشقى الشرير الذى يثير الرعب حتى فى قلب والدته أن يحضر منادياً . . بدون أن يقتحم عليهما باب الحظيرة ؟! ومن أين له أن يعرف اسمه ؟!



وللحظات ظل "خالد" مع أفكاره وتسمرت "مشيرة" فى مكانها لاتقوى على الحركة من شدة الانفعال والتوتر . . وقطع الصمت صوت خيط خفيف على النافذة الخشبية ثم صوت هامس يقول : أنا زميل " عطوة " فى السجن يا " غالب " !

إذن فقد كان صاحب الصوت ينادى على شخص يدعى " غالب " وليس " خالد " .

ومضى الصوت يقول : لقد لمحت إشارتك من بعيد وعرفت أنك قد حضرت لانتظاره كما اتفقنا " .

وهنا اقترب "خالد" من النافذة وقد تملكه حبه للمغامرة . . وفضوله للكشف عن سر ما يدور . . بعد أن تبين أن صاحب الصوت قد اختلط عليه الأمر . . ولكن ما باله لا يدخل

الحظيرة بحثاً عمن يريد مقابلته ! ! وما إن خطر " خالد " هذ الخاطر . . حتى أسرع يرد على الرجل . . حتى يبعده عن الالتجاء إلى دخول الحظيرة . . قائلا بصوت مكتوم : « أمممم ! ! » خشية أن ينطق بكلمة واحدة يفضح بها صوته .

وعاد الصوت يهمس بعد أن اطمأن صاحبه أن هناك من يستمع إليه جيداً خلف النافذة : إن " عطوة " لم يستطع الهروب معى من السجن وألقى القبض عليه فى آخر لحظة بعد أن أطلق عليه الجنود الرصاص فأصابوه فى قدمه . . ولكنه أوصانى قبل أن أتركه وألوذ بالفرار أن أحضر إليك لأسلمك هذه الرسالة التى سلمت نظيرتها لسيدة تدعى "قمر" . . ولم أكن أدرى كيف أتصل بك ... فإن الوقت لم يتسع لكى يعطينى "عطوة" أية تفصيلات غير أنك ستكون فى انتظارى فى هذا المكان . . ولكنك وفرت علىّ المشقة بهذه الإشارة الضوئية . . إن رجال الشرطة يبحثون عنى فى كل مكان . ولن أستطيع التحدث إليك أكثر من ذلك . . فإننى يجب أن أبتعد عن هذه المنطقة بأسرع ما يمكن ! !

وفوجئ " خالد " بيد تمتد إليه من النافذة بورقة مطوية . . فأخذها بأصابع مرتعشة وقلب مرتجف خشية أن يغير الرجل رأيه ويقرر دخول الحظيرة . . ولكن يبدو أن " خالد " كان مخطئاً

فى مخاوفه . . فلم يكن فى نية الرجل أن يضيع دقيقة واحدة فى عبور سور الفناء الملىء بالأشواك أو فى الدوران حوله .

وقف "خالد" فى ذهول . . غير مصدق لما سمعه منذ لحظات . . وأخذ ينظر من خلف مصراع النافذة علّه يعرف ما الذى يدور فى الخارج . . وعلى ضوء النجوم الخافت استطاع أن يتبين رجلا يجرى فى الظلام مبتعداً عن الحظيرة . . حتى اختفى تماماً .

ارتمى "خالد" فوق كومة القش مرة أخرى . .

وما إن جلس بجانب "مشيرة" حتى همست قائلة : ما معنى هذا كله ؟!

خالد : لقد أخطأنا السمع .. فإنه لم يكن ينادى على " بل على شخص يدعى "غالب" . . لقد كان يحمل إليه هذه الرسالة .

فض "خالد" الورقة التى كانت فى يده ثم سلط عليها ضوء بطاريته . . وجلس هو و"مشيرة" يمعنان النظر فيها . . كانت قصاصة من الورق كتبت عليها كلمات غير مفهومة :

« نصف تحت .. ونصف فوق . . شد الحبل .. يظهر الصندوق »

قالت "مشيرة" : ماهذه الكلمات الغامضة ؟! إننى لا أفهم منها شيئاً !

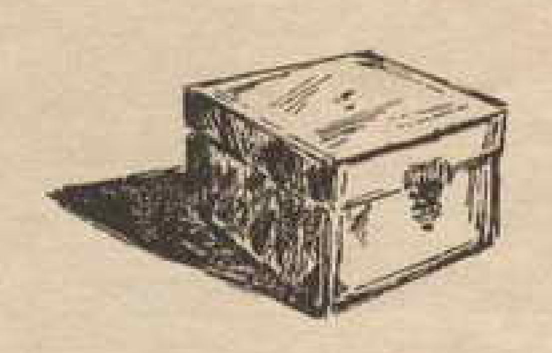
خالد : ولا أنا أيضاً . . ولكن يبدو أن الأمر يتعلق بسر هام لأن الذى أعطانى هذه الرسالة أعطى مثلها لسيدة تدعى "قمر" ، وهذا يعنى أن صاحب هذه الرسالة يريد أن يتعاون الاثنان : "غالب" و "قمر" فى إتمام المهمة التى أرسل إليهما من أجلها وأنه كتبها فى رموز خشية أن يفهم زميله الهارب من السجن سرها .

فقالت "مشيرة" وقد استعادت رباطة جاشها بعد أن ابتعد

الرجل : على كل حال إنها مصادفة غريبة ساقتها إلينا الأقدار .

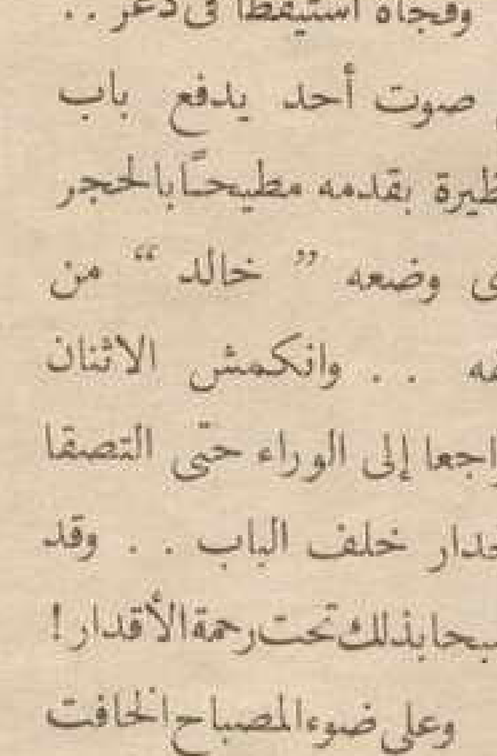
خالد : إن الوقت قد تأخر .. من الأجدر بنا أن ننام الآن قليلا ونترك أمر هذه الرسالة للصباح .

ولم ترد "مشيرة" بكلمة أخرى فلقد كان التعب قد استبد بها فأسلمت جفونها للنعاس .. ولم تمض لحظات حتى كان الاثنان فى ثبات عميق .



ليل لا ينتهى !

وفجأة استيقظا فى ذعر .. على صوت أحد يدفع باب الحظيرة بقدمه مطيحاً بالحجر الذى وضعه " خالد " من خلفه .. وانكمش الاثنان وتراجعا إلى الوراء حتى التصقا بالجدار خلف الباب .. وقد أصبحا بذلك تحت رحمة الأقدار !



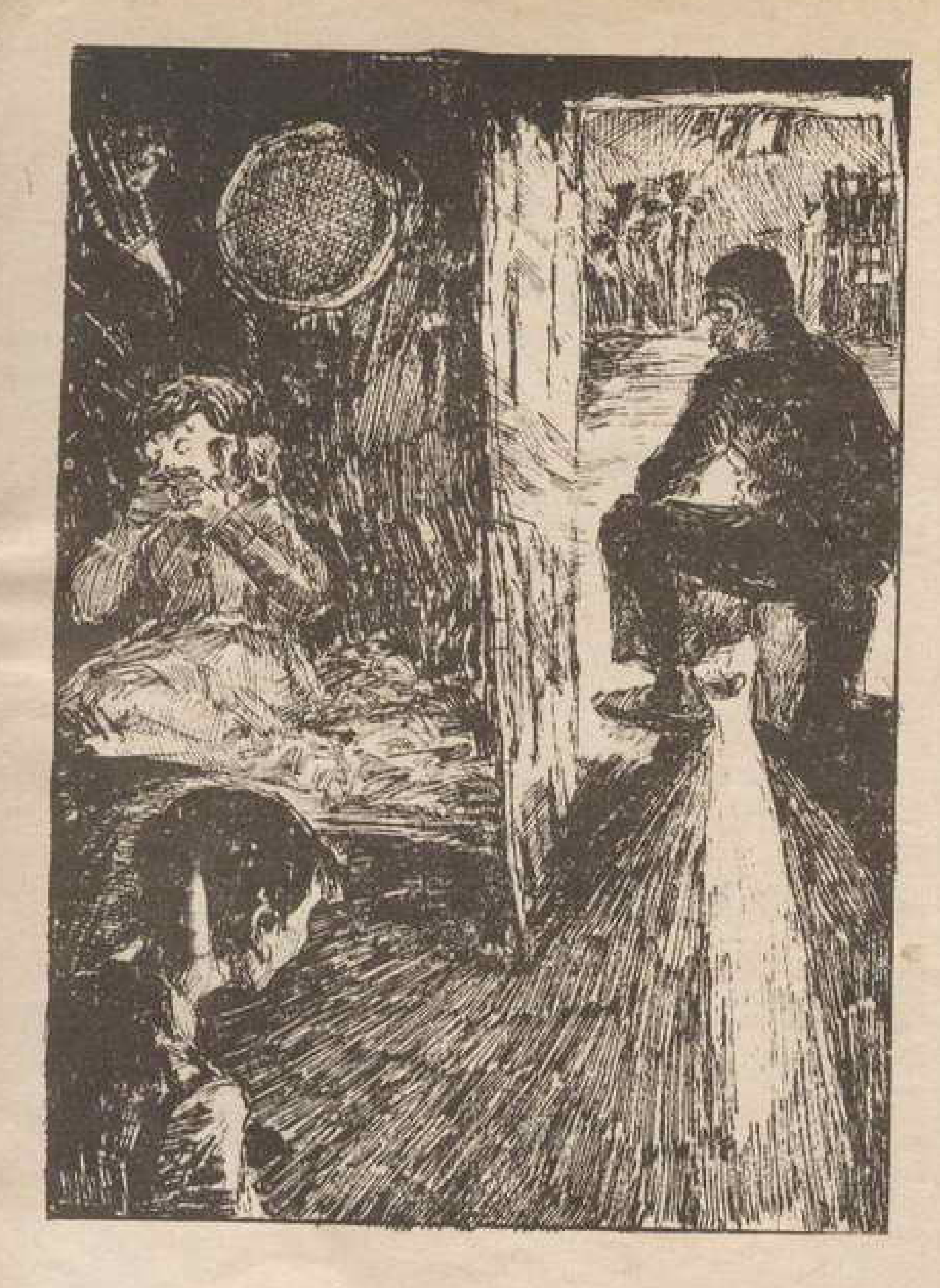
غالب

وعلى ضوء المصباح الخافت الذى كان يحمله هذا القادم فى جنح الظلام استطاع " خالد " و" مشيرة " أن يتبينا قامته الفارعة وكتفيه العريضتين ورأسه الضخم ، وزاد منظره من الرعب فى نفسيهما فاشتد انكماشهما فى ركن الحظيرة وقلباهما يكادان ينخلعان من ضلوعهما .. يا ترى من هو ؟! وما الذى جاء به إلى هذه الحظيرة المهجورة بعد منتصف الليل ؟!

ومرة أخرى انتفضا للمفاجأة .. لقد سمعاه ينادى :

"عطوة" . . "عطوة" . . ولكنه لم يكن يعلم أن "عطوة" هذا لم يغادر السجن قط وأنه قد ألقى القبض عليه قبل أن يبارح أسواره . . ووقف الرجل للحظات فى تردد . . فلقد اتضح له أن من جاء يبحث عنه لم يحضر بعد . . وهم بالابتعاد عن الحظيرة . . وكاد الاثنان يتنفسان الصعداء .. عندما تبين لهما أنه قد غير رأيه . . فعاد مرة أخرى وسحب حجراً . . ثم جلس عليه وقد جعل ظهره إلى الحظيرة ، ووضع المصباح إلى جانبه على الأرض فانبعث منه ضوء خافت إلى الحظيرة ارتعدت له أوصالهما . . كتمت "مشيرة" صرخة فزع بيدها . . خوفاً من أن تخرج بالرغم منها . . وظلت هى و "خالد" فى مكانهما بدون حركة . . لدقائق أو ربما لساعات . . فلقد انحصر كل تفكيرهما حول سكنات هذا الغريب وحركاته وهو جالس على بعد خطوات منهما . . فربما يشعر بوجودهما لأقل حركة أو صوت يصدر عنهما .

ولم يدر أحدهما كم مضى من الوقت عندما بدأ الرجل يتململ فى جلسته وفجأة هب واقفاً وهو يقول محدثاً نفسه : إننى لن أنتظر هنا طوال الليل . . وليذهب "عطوة" إلى الجحيم . . إنه يستطيع العثور علىّ إذا أراد . . ثم حمل



وكتمت « مشيرة » صرخة فزعها . . خوفاً من أن تخرج بالرغم منها !

مصباحه وابتعد عن الحظيرة . . ولكن بعد أن كان " خالد " و " مشيرة " قد أنهكهما التعب والتوتر .

استيقظ " خالد " فى الصباح متعبًا مكدوراً . . بعد نوم متقطع . . متوتر . . طوال الليل . . وأسرع يهز " مشيرة " من كتفها كى تستيقظ هى الأخرى . . واستيقظت المسكينة فزعة مذعورة . . لأنها ما زالت تعيش اللحظات الرهيبة التى مرت عليهما الليلة السابقة . . ولكنها سرعان ما اطمأنت عندما رأت أشعة الشمس تدخل من نافذة الحظيرة . . و " خالد " يبتسم فى وجهها قائلا : هيا بنا نترك هذا المكان يا " مشيرة " قبل أن يشعر بنا أحد . . ويكفينا ما حدث ليلة أمس .

ابتعد الاثنان عن الحظيرة وجدّا نحو الطريق مبتعدين عن هذا المكان بأسراره وغموضه بأسرع ما يمكن . . واتجها مرة أخرى عائدين إلى مفترق الطرق حتى يتبعا الدرب الصحيح المؤدى إلى القرية التى يسكنها الحاج " عبد المنعم " . . حيث يعتقدان أن " طارق " و " فلفل " ذهبا إليها .

سارا وهما يتحدثان عما مر بهما فى الليلة السابقة . . ويحاولان تفسير ما جاء فى الرسالة الغامضة . . حتى التقيا بغلام يسير فى الاتجاه الآخر . . فسأله " خالد " مشيراً إلى المنزل الذى

قضى فيه هو وأخته هذه الليلة الرهيبة : من فضلك ، هل تعرف من صاحب هذا البيت ؟

واقترب منهما الصبى وكأنه سيفضى إليهما بسر خطير : إنه البيت الذى لا يستطيع أحد من أهالى المنطقة الاقتراب منه . . فصاحبه هو " غالب " الرجل الذى يثير الرعب فى قلوب الجميع . . إنه يعيش فيه مع والدته . . ولكن الناس يقولون إن هناك كثيرين يحضرون إليه بعد حلول الظلام .

نظرت " مشيرة " لأخيها بدهشة ولسان حالها يقول : إذن فصاحب هذا البيت هو " غالب " الذى جاء لمقابلته السجين الهارب ليلة أمس !! هذا الشرير الذى تخشاه القرية . . والذى رفضت والدته أن تسمح لهما بدخول منزلها برغم المطر المنهمر خوفًا منه !!

انصرف الغلام لشأنه . . وواصل الاثنان طريقهما وهما يتحدثان بارتياح بعد أن ابتعدا تمامًا عن ذلك المنزل الرهيب .

مشيرة : يا لها من مصادفة عجيبة . . أن يوافق وجودنا فى الحظيرة الوقت الذى يصل فيه السجين الهارب لمقابلة " غالب " .

فرد " خالد " ضاحكاً : لقد ظن أنى كنت أعطيه إشارات ضوئية عندما كنت تطلبين منى أن أضىء بطاريتى .

مشيرة : لحسن الحظ كان البوليس فى أثره مما لم يدع له وقتاً لدخول الحظيرة والحديث على مهل .. وإلا صرنا الآن فى خبر كان .

فقال " خالد " وهو يخرج من جيبه الورقة التى أعطاه إياها الرجل : يا لها من رسالة غريبة غامضة . . يا ترى ماذا تعنى ؟ !

مشيرة : إن هذا أمر يستوجب التفكير العميق . . من الأفضل أن نرجئ هذا الموضوع إلى حين نلتقى " بفلفل " و " طارق " . . يا ترى أين قضيا الليل ؟

لقاء جديد



طارق

كان الاثنان قد وصلا إلى مفترق الطرق . . عندما شاهدا من بعيد " فهد " و " طارق " و " فلفل " عائدين فى اتجاههما من إحدى الطرق المتفرعة منه . وما إن رآهما " فهد " حتى جرى نحوهما وهو ينبح فى سعادة . . معبراً عن فرحته بلقائهما وكأنه يسألهما أين قضيتما الليلة السابقة !! . . ومن خلفه اندفع " طارق " و " فلفل " . . وأسرعت " مشيرة " تجرى تجاههما هى الأخرى والتقت " بفلفل " فى منتصف الطريق فى عناق طويل . . ثم عانقت " طارق " وكأنها قد غابت عنهما مدة طويلة . . أما " خالد " فلقد أسرع الخطى ولكن برزانته المعهودة . . إذ كان أقلهم ميلاً للاندفاع .

وما إن انتهت فرحة اللقاء حتى صاح " طارق " و " فلفل " فى صوت غاضب معاتبين : أين كنتما ليلة أمس ؟ ! ما الذى

حدث ؟ ! ولماذا لم تذهبا إلى منزل الحاج "عبد المنعم" كما اتفقنا ؟ !

جلس الأربعة على حافة الطريق وبدأ "خالد" يقص عليهم قصة الأمس والكل منصت له فى دهشة وانفعال حتى "مشيرة" كانت تسمع القصة بكل جوارحها وكأنها لم تعش أحداثها من قبل . . فلم تكن تستطيع حتى ذلك الحين أن تصدق ما مر بهما هى و"خالد"، وأن هذا الكابوس المزعج قد مر على خير . وما إن انتهى "خالد" من قصته الغريبة حتى قال "طارق" متعجباً : إننى لا أكاد أصدق أذنى !! يا للمصادفات الغريبة .. إنها قصة تفوق الخيال ، ولكن لا بد أن وراءها سراً خطيراً !!

فلفل : إنها قصة غريبة حقاً جديرة باهتمام المخبرين الأربعة .

مشيرة : هذه قصتنا . . ما هى قصتكما ؟ ! وما هى أخبار "فهد" ؟! إننى أراه يجرى فى صحة تامة . . ماذا كان يؤلمه ؟!

"فلفل" : إنه بخير والحمد لله . . فلم تكن إصابته خطيرة كما كنا نتصور .

فقاطعها "طارق" متسائلا : ألا تشعرون بالجوع ؟! أما عن

نفسى فأكاد أموت جوعاً . . فقد تركنا منزل الحاج "عبد المنعم" بدون أن نتناول شيئاً من الطعام برغم إلحاح الرجل . . لأننا كنا نشعر بالقلق عليكما . . وكنا نريد الخروج بأسرع ما يمكن للبحث عنكما .

مشيرة : أنا أيضاً يا "طارق" أكاد أموت من شدة الجوع ، فقد فرغ كل ما كان معنا من طعام ليلة أمس .

خالد : هيا بنا نبحث عن حانوت نشترى منه بعض المأكولات .

مشيرة : كم أنا سعيدة بتجمعنا مرة أخرى .. فلقد كنت – من فرط قلقى – أتصور أننا لن نلتقى مرة أخرى .

وعادت "مشيرة" تقبل ابنة خالتها مرة أخرى . . معبرة عن فرحتها باللقاء .

وابتسمت لها "فلفل" فى حنان وبدأت تقص عليها أخبار "فهد" ، قالت : ذهبنا بعد أن افترقنا إلى الوحدة الصحية التى لم يكن من الصعب الوصول إليها ، بالرغم من طول الطريق . وهناك وجدنا عدداً من الفلاحين جاءوا بحيواناتهم . . فمنهم من أحضر جاموسته ، أو حماره . . أو حتى عنزته . . وجلسوا فى انتظار أن يفحصها الطبيب . . وجلسنا نحن أيضاً ننتظر أن

يأتى على " فهد" الدور . . وطال انتظارنا ، حتى إنه عندما فحص " فهد" كان قد مضى علينا فى الوحدة الصحية ساعة أو أكثر .

فقاطعها " طارق" مداعبًا : ولكن المهم أن الطبيب أكد لنا أن مخاوفنا لم يكن لها نصيب من الصحة . . وأن قلق " فلفل" لم يكن له ما يبرره ! فقد أصيب "فهد" بالتواء خفيف فى الرقبة . . وأنها بقليل من التدليك سوف تعود إلى حالتها الطبيعية . وبعدها . . توجهنا على الفور إلى القرية التى يقيم بها الحاج "عبد المنعم "بعد أن دلنا أحد المارة على الطريق الصحيح إليها .

فلفل : وعندما وصلنا إلى هناك فوجئنا بأنكما لم تصلا بعد وأنه لا يعرف شيئًا عنكما . . وانتظرناكما طويلا . . ولكنكما لم تظهرا . . وبدأنا نشعر بالقلق .

طارق : كانت والدة " فاطمة " قد أعدت العشاء فى تلك الأثناء . . وجلسنا بعد أن نصبت المائدة فى انتظاركما ولكن بلا جدوى . . وفقدنا الشهية للأكل برغم ما كان أمامنا من مأكولات ريفية شهية . . وأردنا الخروج للبحث عنكما . . ولكن المطر كان يهطل بغزارة غريبة . . فنصحنا الحاج



"عبد المنعم " بالانتظار للصباح قائلا إنكما لابد قد التجأتما إلى أى مأوى للاحتماء به من المطر وأنكما أينما تذهبان فستكونان موضع ترحيب أهالى الريف الذين – برغم بساطتهم ورقة حالهم – يتسمون بالكرم وحسن الضيافة .

فقاطعته " فلفل" ضاحكة : ويبدو أنه كان محقًا فى قوله ، ولكنه لم يكن يعلم أن هذا المأوى سيعرضكما لكل هذه الأخطار !!

طارق : أين الرسالة التى حدثتنا عنها يا " خالد" ؟!

أخرج " خالد" الورقة الصغيرة من جيبه وجلس الأربعة

يتفرسون فيها . . ولم يستطع أحد منهم أن يستشف شيئًا من رموزها الغريبة . . يا ترى ما معناها ؟! وإلى أى شيء ترمز ؟ !

مشيرة : أعتقد أننا يجب أن نبلغ الشرطة قبل كل شيء عن وجود هذا السجين الهارب فى المنطقة .

فقال " طارق " مداعبًا : هل تقولين ذلك بدافع الخوف من أن تصادفيه مرة أخرى ، أم حرصًا على الواجب ؟! أيتها الخوافة .

فلفل : كف عن إغاظتها يا " طارق " . . إن هذا هو التصرف السليم فعلا .

خالد : وهذا ما كنت أفكر فيه .

ذهب المخبرون الأربعة إلى أقرب مركز للشرطة بعد أن استدلوا عليه من الفلاحين الذاهبين إلى مزارعهم ، وهناك دخل " خالد " و" طارق " لمقابلة الضابط ووقفت " فلفل " و" مشيرة " ومعهما " فهد " فى الانتظار فى الخارج إلا أن ما التجأ إليه المخبرون الأربعة لم يكن سوى نقطة مرور عادية ليس بها غير شاويش واثنين من الجنود . . ومع ذلك عرض " خالد " الموضوع على الشاويش النوبتجى ولكن الرجل لم يبد

اهتمامًا بما نقله إليه " خالد " من أخبار . . فتوقف " خالد " عن سرد قصته . . ونظر إلى " طارق " فى دهشة . . ثم سأل الرجل : ألا تهمك هذه المعلومات يا شاويش ؟ !

فأجابه معتذراً : لا تؤاخذنى يا بنى لأننى لا أبدى اهتمامًا بما تقول . . فلقد وصلت إلينا إشارة هذا الصباح بأنه قد تم القبض على السجين الذى هرب البارحة من السجن . . بعد أن عثروا عليه فى هذه المنطقة بعد منتصف الليل .

التفت " خالد " لأخيه قائلا : لا بد أنه هو الشخص نفسه الذى جئنا نبلغ عنه ماداموا قد قبضوا عليه فى هذه المنطقة بعد هروبه ليلة أمس .

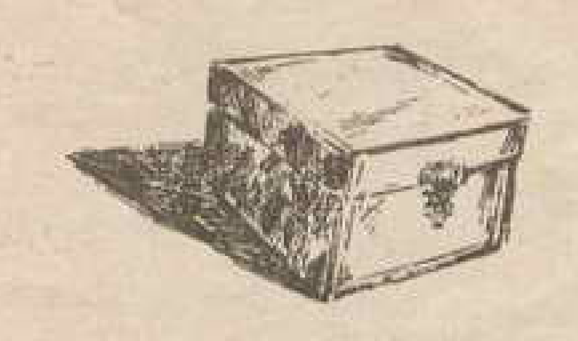
ومضى الشاويش يقول : إن الشرطة عين ساهرة على أمن المواطنين .

وأحس " طارق " أن الرجل سوف يلقى عليهما خطبة . . فأسرع يقول : شكراً لك يا حضرة الشاويش ، لقد كنا نريد تقديم المساعدة فقط . . ثم استدار مع أخيه يخرجان من الحجرة .

وغضب الرجل لأنهما لم ينتظرا حتى ينتهى من سرد مناقبه . . صاح خلفهما : لا تزجا بأنفسكما فى مثل هذه الأمور

الجادة فأنتما ما زلتما صغيرى السن . ونحن لانريد مزيداً من المتاعب .

خرج الاثنان وهما يشعران بالحنق والغضب لاستهزاء الشاويش بالمعلومات التى حملاها إليه . . وقررا منذ هذه اللحظة حل لغز الرسالة بدون الاستعانة بأحد . . فطالما أنه قد تم القبض على السجين الهارب فلن يهتم أحد بأمر هذه الرسالة .



اكتشاف غريب

نسى المخبرون الأربعة كل شىء عن الأساس من قيامهم بهذه الرحلة، وأصبح شغلهم الشاغل منذ تلك اللحظة هو الكشف عن سر هذه الرسالة الغامضة . .

مشيرة

وساروا وهم يتناقشون فى أمرها.

طارق : لا بد أن هذا الصندوق الذى تشير إليه الرسالة قد أودع به "عطوة" مسروقات أو مجوهرات أو ربما مخدرات أراد أن يخفيها عن الأعين .

فلفل : لذلك لابد أنه فى مكان لا يفطن إليه أحد .

خالد : يا ترى ماذا تعنى كلمة نصف فوق . . ونصف تحت ؟!

مشيرة : أيا كان معنى هذه الكلمات فإن مكان هذا الصندوق لا بد قريب من هنا .

خالد : معك حق يا " مشيرة " . فإن " عطوة " صديق " لغالب " وهناك احتمال كبير أن يكون من أهالى هذه المنطقة وأنه قد أخفى هذا الصندوق فى مكان ما بالقرب من هنا .

" طارق " مقاطعًا : حتى لو فرضنا أن ذلك سليم . . فإنه لن يقودنا إلى شىء . . فإننا سنكون كمن يبحث عن إبرة فى كومة قش .

قادتهم أقدامهم بدون أن يشعروا إلى بحيرة قارون . . فجلسوا على شاطئها يراقبون قوارب الصيادين . . وأصحابها يلقون الشباك فى انتظار ما تجود عليهم به البحيرة من سمك .

قالت " مشيرة " وهى مستلقية على ظهرها فى استرخاء : يا ترى من هى " قمر " ؟ ! وما علاقتها بصاحب هذه الرسالة ؟ !

خالد : ربما كانت زوجته أو أخته . وأغلب الظن أنها ستذهب إلى " غالب " للتشاور معه بشأن الرسالة التى وصلتها . . والتى لابد علمت من السجين الهارب أنه يحمل مثلها إليه . فيبدو أن " عطوة " كان يقصد أن يتعاون الاثنان فى البحث عن الصندوق .

طارق : ومن المؤكد أنهما يفهمان سر الرموز التى وردت بها . . وأنهما قد شرعا فى البحث فعلا عن الصندوق الذى يحتوى على ما أخفاه " عطوة " والذى ربما دخل السجن من أجله . . ونحن هنا لا نعرف من أين نبدأ البحث !!

كانت " فلفل " تجلس فى استرخاء وهى تمسح على رأس " فهد " الذى قبع بجانبها فى هدوء وهى تستمع إلى ما يدور من حديث فى صمت وتجول ببصرها بين معالم الطبيعة الساحرة المحيطة بهم .

التفتت إليها " مشيرة " قائلة : ماهذا الصمت يا " فلفل " ؟ ما بالك لا تشتركين فى الحديث ؟ ألا يهمك أمر هذه الرسالة ؟

فأجابتها وهى مازالت تنظر نحو مجموعة من المنازل وأشجار النخيل غارقة حتى منتصفها وسط مياه البحيرة الهادئة : انظرى يا " مشيرة " نحو هذه البيوت والأشجار الغاطسة تحت الماء . . نصفها تحت الماء ، ونصفها فوق !!! إن منظرها غريب ملفت .

سكتت " فلفل " فجأة ورنين كلماتها يتردد فى أذنيها . . والتفت إليها الآخرون وساد الصمت برهة . . كل منهم يحاول

استيعاب ما نطقت به منذ لحظات . . وفجأة تكلم الجميع فى آن واحد .

خالد : لقد نطقت يا " فلفل " بنفس الكلمات المكتوبة فى رسالة " عطوة " !!!

طارق : كيف لم نفطن لهذه الفكرة عندما رأينا هذا المنظر الغريب ؟ ! لا بد أن هذا هو المكان الذى يعنيه " عطوة " فى رسالته !!

والتفتت " مشيرة " تنظر لـ " فلفل " بإعجاب قائلة :

يا لك من ذكية يا " فلفل " !! كيف عرفت أن هذا هو المكان الذى تعنيه الرسالة ؟

" فلفل " ضاحكة : لا تبالغى يا " مشيرة " ، فإننى لم أفطن إلى أن رموز الرسالة تنطبق على وصف هذه المنازل والأشجار إلا بعدما نطقت بتلك الكلمات منذ لحظات ، مثلكم تماماً .

خالد : المهم الآن هو أن نتصرف بسرعة وأن نهب على الفور للبحث عن هذا الصندوق .

طارق : قبل أن نتناول طعام الغداء ؟

نظر إليه الجميع فى دهشة واستنكار . . ألا ينسى " طارق "

مطلقاً حبه للأكل !! إلا أن " طارق " كان يقصد مجرد معاكستهم . . وما إن رأى الغضب والاستنكار على وجوههم حتى ضحك ملء شدقيه . . وفطن الآخرون إلى ما يرمى إليه . . وضحك الجميع . . حتى " فهد " . . فلقد قام من رقدته وأخذ ينبح هو الآخر سعيداً لمجرد إحساسه بسعادتهم .

خالد : هيا بنا حتى لا نضيع دقيقة واحدة فكل لحظة لها ثمنها الآن . . ولكن يجب قبل كل شىء أن نستقر على مكان نضع فيه أمتعتنا حتى نستطيع التحرك بسهولة .

مشيرة : لماذا لا نتركها فى أوبرج الفيوم ؟ إنه لا يبعد عن هنا كثيراً .

فلفل : بل أعتقد أنه من الأفضل أن نودعها فى مكان قريب من مكان البحث . حتى لا يحس أحد بتحركاتنا . . وحتى نستطيع الابتعاد بسرعة متى عثرنا على الصندوق .

قال " طارق " وهو يشير إلى أطلال بيت ريفى على بعد منهم :

لماذا لا نلجأ إلى هذا البيت المهجور الذى ترونه على بعد منا ؟!

فلفل : معك حق يا " طارق " إنه أنسب مكان نترك فيه أمتعتنا .

وبسرعة اتجه المخبرون الأربعة إلى المنزل المهجور وهم

يتحدثون باهتمام بالغ عن احتمالات الموقف وتوقعاتهم .

مشيرة : يا ترى ما الذى يفعله " غالب " الآن ؟ ! وهل علم شيئاً بشأن الرسالة التى لم تصل إلى يديه ؟ !

خالد : لا بد أن هذه السيدة التى تدعى " قمر " قد ذهبت إليه بكل ما لديها من أخبار .

طارق : ولا بد أيضاً أنهما قد شرعا فى البحث عن الصندوق .

فلفل : وربما نصادفهما الآن وهما فى طريقهما للحصول عليه .

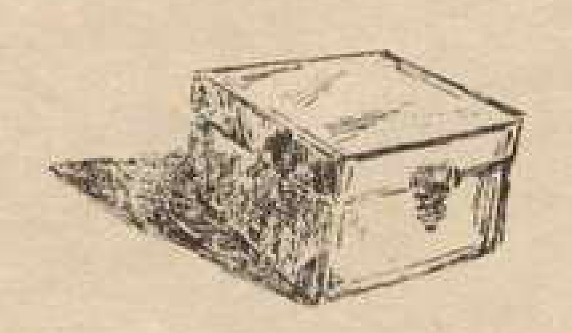
وما إن سمعت " مشيرة " ذلك حتى بدأت تشعر بالتخاذل . . فلقد تذكرت " غالب " بشكله المخيف عندما كان يقف أمام باب الحظيرة فى تلك الليلة المرعبة وتذكرت كل ما سمعته عنه من الصبى الذى مرت به هى و" خالد " فى الطريق فقالت بصوت مهزوز : " ماذا لو شك فينا " غالب " إذا ما صادفنا بقرب المكان الذى يوجد به الصندوق ؟ !

فأجابها " خالد " محاولا أن يبعث شعور الطمأنينة فى قلبها : ليس من المعقول أن يشك " غالب " أو " قمر " فى أننا نبحث عن الشىء نفسه الذى يبحثان عنه . . ولن يخطر

ببال " غالب " أن الرسالة قد وقعت فى أيدينا بدلا منه . . بل إنه ربما يعتقد أن السجين الهارب قد لاذ بالفرار أو ألقى القبض عليه قبل أن يستطيع الوصول إليه بالرسالة التى كان يحملها له من " عطوة " .

فلفل : ثم إننا لن نكون بمفردنا فى البحيرة يا " مشيرة " فإن الكثيرين يحضرون إليها سواء للنزهة أو لصيد السمك . . وعلى أية حال فمعنا " فهد " وهو كفيل بأن يدافع عنا جميعاً لو احتاج الأمر .

اقتنعت " مشيرة " بهذا الرأى . . وحاولت أن تبعد عن تفكيرها المخاوف التى كانت تساورها من احتمال لقاء " غالب " أو " قمر " .



البحث



وقف المخبرون الأربعة مترددين فى دخول البيت المهجور . . فلقد تبين لهم عندما اقتربوا منه أنه قد تهدم على أثر حريق مدمر قد أتى على جدرانه وتركه أطلالا موحشة . . يا ترى ما الذى حدث لأهله ؟ ! هل قضى عليهم هم أيضاً ؟!

لم يكن هناك وقت لهذه التأملات ، فلقد حان وقت العمل . . وبسرعة نفضوا عنهم أفكارهم وبدءوا يطوفون حوله ليتأكدوا من عدم وجود أحد بالقرب منه حتى يستطيعوا ترك أمتعتهم فى سلام ، ثم دخل الأربعة المنزل يتقدمهم "فهد" وهو يتشمم المكان من حوله .

كان البيت أكثر حشة من الداخل فلا أبواب أو نوافذ بل بقايا اعتلاها السواد وجدران التهمتها النيران زاد من وحشته

جلست « فلفل » تنظر إلى مجموعة من المنازل وأشجار النخيل غارقة حتى منتصفها فى مياه البحيرة

بقايا أوان وأمتعة مبعثرة هنا وهناك . . وكأن أهل البيت قد تركوه لتوهم . وفى الحجرة الوحيدة التى لم تصب بأضرار جسيمة وجد الأولاد آثار فرن كبير .

خالد : إن هذا الفرن مكان مناسب لإخفاء حقائبنا حتى نعود .

طارق : نعم إن أحداً لن يفطن إلى وجودها داخل هذا الفرن الضخم .

فلفل : هيا بنا الآن لنستأجر قارباً ونذهب به إلى حيث المنازل وأشجار النخيل الغاطسة تحت سطح الماء ثم نبدأ البحث بعد التأكد من خلو المنطقة من الفضوليين .

وهنا سألت "مشيرة" : هل تعتقدون أننا سنجد الصندوق بسهولة . . وننتهى اليوم من مهمتنا ونعود إلى منزل عمتى "خديجة" ؟

خالد : إن كل شىء يعتمد على الظروف .

طارق : إننا لن نجد شيئاً مادمنا واقفين هنا نضيع الوقت هباء .

ونحو البحيرة جرى الأربعة يتقدمهم "فهد" . . وكلهم أمل فى العثور على الصندوق قبل أن يصل إليه "غالب" .

وعند شاطئ البحيرة استقل المخبرون الأربعة أحد قوارب الصيد بعد أن وافق صاحبه على أن يؤجره لهم طوال اليوم .

وتولى "طارق" و"فلفل" التجديف . . وبدأ القارب يشق طريقه فى اتزان وسرعة نحو الهدف .

كان "خالد" يجلس وهو واضع المنظار المكبر على عينيه مستعرضاً البحيرة من شرقها إلى غربها متفرساً فى وجوه راكبى القوارب الأخرى بحثاً عن "غالب" ، ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل وبخاصة أنه لم يكن يعرف ملامح وجهه ولكنه



كان يعرف أنه طويل القامة عريض الكتفين بشكل ملحوظ . وظل يراقب المتجهين بقواربهم نحو منطقة البحث بنشاط وصبر ، فلقد كان من عادة المخبرين الأربعة عندما ينشطون للعمل أن يؤدوه على أكمل وجه . . بدون تباطؤ عن بذل كل ما هو ممكن من أجل تحقيق الهدف . . وبدون أن يتركوا شيئاً للصدفة .

أما "مشيرة" و"فهد" فكانا الوحيدين اللذين شعرا بالمتعة . . فلقد كان الجو جميلا مشمساً على عكس الليلة السابقة . . مما شجع الكثيرين على الخروج ، إما للصيد أو للتنزه فى البحيرة حتى إنه لم يمض وقت طويل حتى امتلأت بالقوارب المختلفة . كان منظر البيوت وأشجار النخيل الغاطسة تحت سطح الماء فريداً فى نوعه مما لفت أنظار الكثيرين من راكبى القوارب . . فاقترب معظمهم من المكان ليشاهدوه عن كثب .

طارق : يبدو أننا لن نتمكن من البحث عن الصندوق الآن فإننا سنلفت بذلك أنظار كثير من الفضوليين .

مشيرة : وما العمل ؟

"خالد" بعد تفكير عميق : نعود الآن إلى الشاطئ على أن

نبدأ البحث قبيل غروب الشمس .

مشيرة : ولكن قد يصل " غالب " فى هذه المدة قبلنا إلى الصندوق .

فردت عليها " فلفل " وقد توقفت عن التجديف لكى تأخذ قسطًا قليلا من الراحة : إن " غالب " يخشى عيون الرقباء تمامًا . ولن يجازف بالحضور إلى هنا قبل أن يصبح المجال خاليًا . . ويجب ألا ننسى يا " مشيرة " أنه يتصرف بثقة المتأكد من أن أحداً لا يعرف السر غيره هو و" قمر " .

فأكمل " خالد " قائلا : بل إنه ربما لا يفكر فى البحث عن الصندوق إلا بعد يوم أو يومين .

فرد " طارق " معترضًا : إننى أوافق " فلفل " على أن " غالب " لا يتوقع أن أحداً غيره يعرف سر الصندوق ولكن هذا لا يمنع أنه سيحاول الوصول إليه فى أقرب وقت ممكن حتى لا يعطى فرصة لأحد للعثور عليه ولو عن طريق الصدفة . . مثلا فالصندوق لابد به شىء هام تجشم من أجله السجين الهارب مشقة الحضور للبحث عن " غالب " برغم أن البوليس كان فى أثره .

فلفل : لذلك أعتقد أن من الأفضل أن نسرع بالبحث

عنه وأقترح عليكم أن نعود الآن إلى الشاطئ وننتظر قليلا حتى تقل الحركة فى البحيرة ثم نعود مرة أخرى للبحث فى ضوء النهار فإن ذلك سيسهل علينا المهمة .

طارق مداعبا : وبخاصة أننى قد مت من الجوع .. ثم نظر إلى الآخرين فى تخابث منتظراً الرد .

خالد : ولكن ما لدينا من طعام قد انتهى !!

طارق : هذا هو أفضل ما سمعته منذ خروجنا فى هذه الرحلة ، فلقد ضقت من السندوتشات وكنت أنوى أن أقترح عليكم تناول الغداء فى أوبرج الفيوم . . وأعتقد أن " فهد " على الأقل يشاركنى الرأى وأنه يفكر فى عظمة لذيذة يحيط بها ثريد شهى .

ضحك الجميع . . فلقد كان لدى " طارق " دائمًا الرد المناسب عندما يتعرض الموضوع للطعام . . حقيقة أن " فهد " المسكين مل أكل الخبز والفطائر وكان يتوق إلى أكلة لذيذة ساخنة .

وعادت " فلفل " و" طارق " للتجديف مرة أخرى نحو الشاطئ حتى يستطيعوا العمل بدون أن يخشوا عيون الفضوليين أو الرقباء .

ساروا مسافة غير بعيدة حتى وصلوا إلى أوبرج الفيوم وهناك تناولوا طعام الغداء فى الهواء الطلق ، فلقد رفض صاحب المطعم السماح " لفهد" بالدخول معهم . . ورفضت " فلفل" بدورها أن تتركه وحيداً جائعاً على حين يتناولون طعامهم بالداخل . . ولكنها أفلحت فى أن تقنع صاحب المطعم بأن يقدم " لفهد" وجبة ساخنة من بقايا طعام الرواد .

وما إن انتهوا من تناول طعامهم . . حتى قام " خالد" يدفع حساب المطعم . . فلقد كان دائماً يتولى الشئون المالية بصفته أكبرهم سناً . . ثم عاد يقول : هيا بنا نعود إلى ذلك البيت المهجور حتى تهدأ الحركة فى البحيرة ونستأنف البحث عن الصندوق .

مفاجأة !


قمر

ساروا يضحكون ويتحدثون عائدين أدراجهم إلى حيث تركوا أمتعتهم ، ولكنهم ما إن اقتربوا من البيت حتى فوجئوا " بفهد" يندفع نحوه وهو ينبح بشكل جنونى . . وتوقف الأربعة عن المسير وهم مندهشون لتصرفه ! يا ترى ما الذى دعاه لهذا التصرف ؟!

ولم تدم تساؤلاتهم طويلا . . فلقد سمعوا فى تلك اللحظة صوت امرأة تصرخ مستغيثة . . ثم تندفع أمامهم خارجة من البيت . . كانت فى مقتبل العمر تلبس زياً قروياً . . أعاقها فى أثناء اندفاعها عن السير حتى كادت تسقط على الأرض ومن خلفها خرج رجل طويل القامة ، عريض المنكبين وهو يصرخ فى غضب بالغ فى وجه " فهد" الذى لم يكف عن النباح المتواصل . . حتى أصبح الاثنان خارج البيت تماماً . . ولكن " فهد" لم يهدأ برغم ذلك وظل



وفجأة سمعوا صوت امرأة تصرخ مستغيثة . . ثم تندفع أمامهم خارجة من البيت !

واقفاً أمام مدخل البيت المتهدم وهو يزمجر فى شراسة وكأنه يتحداهما فى دخوله مرة أخرى .

وما إن لمح " خالد " الرجل حتى همس فى أذن " مشيرة " التى كانت تقف إلى جانبه : انظرى يا " مشيرة " . . أليس هذا هو الشخص نفسه الذى جاء يبحث عن السجين الهارب ليلة أمس ؟ إنه " غالب " لا شك فى ذلك !

مشيرة : إنه هو بعينه فلا يمكن أن يكون هنا اثنان بهذه الأوصاف نفسها . . يا ترى ما الذى جاء به إلى هنا ؟!

فقال " طارق " بعد أن سمع ما دار بين أخويه : إنه الشىء نفسه الذى جئنا من أجله . . جاء يتوارى عن عيون الناس حتى تهدأ الحركة فى البحيرة !!

فأسرعت " مشيرة " تهمس : لا ترفع صوتك يا " طارق " فقد يسمعك .

كانت " فلفل " قد نادت على " فهد " فعاد إلى جانبها ممتثلا أمرها ولكن على مضض . . وما إن رأته السيدة — التى كانت تقف بوجه شاحب — يقف فى هدوء إلى جانب صديقته حتى استعادت رباطة جأشها وصاحت فى وجه " فلفل " : كيف تتركون هـذا الكلب المتوحش طليقاً بلا قيد ؟! ألا تراعون أحداً ؟!

وأخذت " فلفل " تعتذر لها محاولة أن تشرح لها تصرف " فهد " ولكن الرجل لم يمهلها فرصة لتوضيح الأمر ، بل تغاضى عن اعتذارها واندفع يقول فى غضب : سوف ألقنكم درساً لن تنسوه . . وسوف أقتل هذا الكلب أمام أعينكم !

احمر وجه " فلفل " وبان عليها الغضب . . فلقد اعتذرت أكثر من مرة مما لم يدع هناك سبباً لهذا الأسلوب الفظ ، وبخاصة أن " فهد " لم يصبهما بسوء . . ووقفت متنمرة استعداداً للدفاع عنه مهما كلفها ذلك ، ولكن " خالد " أسرع يقول : إننا نكرر أسفنا لما حدث .

ولكن الرجل قاطعه قائلا : " إن أسفكم هذا جاء متأخراً . . ولن يغير من الأمر شيئاً !

ثم التقط فرع شجرة ملقى على الأرض . . وهم بالانقضاض به على " فهد " .

وصرخت " فلفل " فى وجهه فى انفعال : لقد تحملت غضبك أكثر من اللازم واعتذرنا لك أكثر من مرة . . ولكنى أحذرك من محاولة إيذاء كلبى . . فإننى لن أمنعه من التصدى لك هذه المرة وليكن ما يكون !

ويبدو أن التصميم الذى ظهر على وجه " فلفل " قد أثار

الرعب فى قلب السيدة التى كان يريعها شكل ذلك الكلب المخيف الذى لم تشاهد كلباً من فصيلته من قبل . فقلما يرى أهالى الريف مثل هذه الأنواع من الكلاب . . فأسرعت تمسك بذراع الرجل تستوقفه عن المضى فيما اعتزم قائلة : هيا بنا من هنا يا " غالب " فلا وقت لدينا الآن . . ويكفى أنهم قد اعتذروا لنا كثيراً .

تردد " غالب " قليلا ثم رمى العصا من يده ورمق الأولاد بنظرة حانقة غاضبة ثم ابتعد عنهم وبرفقته السيدة .

وما إن أصبح على مسافة منهم حتى قال " طارق " : الآن لم يعد هناك مجال للشك فى أن هذا هو " غالب " بشحمه ولحمه !!

فلفل : يا له من متوحش . . فظ !!

مشيرة : لقد ثارت ثائرته لمجرد أن " فهد " نبح عليه . . فما باله عندما يعرف أننا نبحث مثله عن الصندوق !!

ابتسم الجميع . . ولكنهم كانوا يتوجسون خيفة من مقابلة " غالب " مرة أخرى .

وقفت " فلفل " تربت على رأس " فهد " قائلة : يا لك من حارس أمين !! هل ضايقك لهذا الحد أن يدخل " غالب "

والسيدة التى معه المكان الذى وضعنا به أمتعتنا ؟ !

طارق : لقد كاد بإخلاصه الزائد يوقعنا فى متاعب مع هذا الوحش الشرس .

فرد " خالد " وهو ينظر تجاه البحيرة : ها هو " غالب " والسيدة التى معه ــ التى أرجح أنها " قمر " ــ يستقلان أحد القوارب ولابد أنهما فى طريقهما للبحث عن الصندوق .

" فلفل " وما زال على وجهها أمارات الغضب : هيا بنا نلحق بهما حتى لا نترك لهما فرصة للبحث .

طارق : وداعًا أيتها الراحة !!

وبسرعة اتجه الأربعة يتقدمهم " فهد " نحو القارب الذى تركوه على الشاطئ لحين عودتهم من تناول طعام الغداء . . وأسرع " فهد " يقفز إليه قبلهم جميعًا ومن خلفه " فلفل " و" مشيرة " ثم دفعه " طارق " و" خالد " داخل الماء . . ثم قفزا به وبدءا يتعاونان فى التجديف . . ولم تمض مدة طويلة حتى لحق قاربهم بقارب " غالب " . . فقال " خالد " : لا تنظروا تجاه " غالب " وتظاهروا بأننا جئنا للاستمتاع بالتنزه فى البحيرة .

ولكنهم ما إن اقتربوا منه حتى بدأ " فهد " ينبح مرة أخرى برغم محاولات " فلفل " الجاهدة لتهدئته . . فلقد أحس بكراهية فطرية لهذا الرجل الشرس والسيدة التى ترافقه منذ أن رآهما يجلسان داخل البيت الذى وضع فيه أصدقاؤه أمتعتهم .

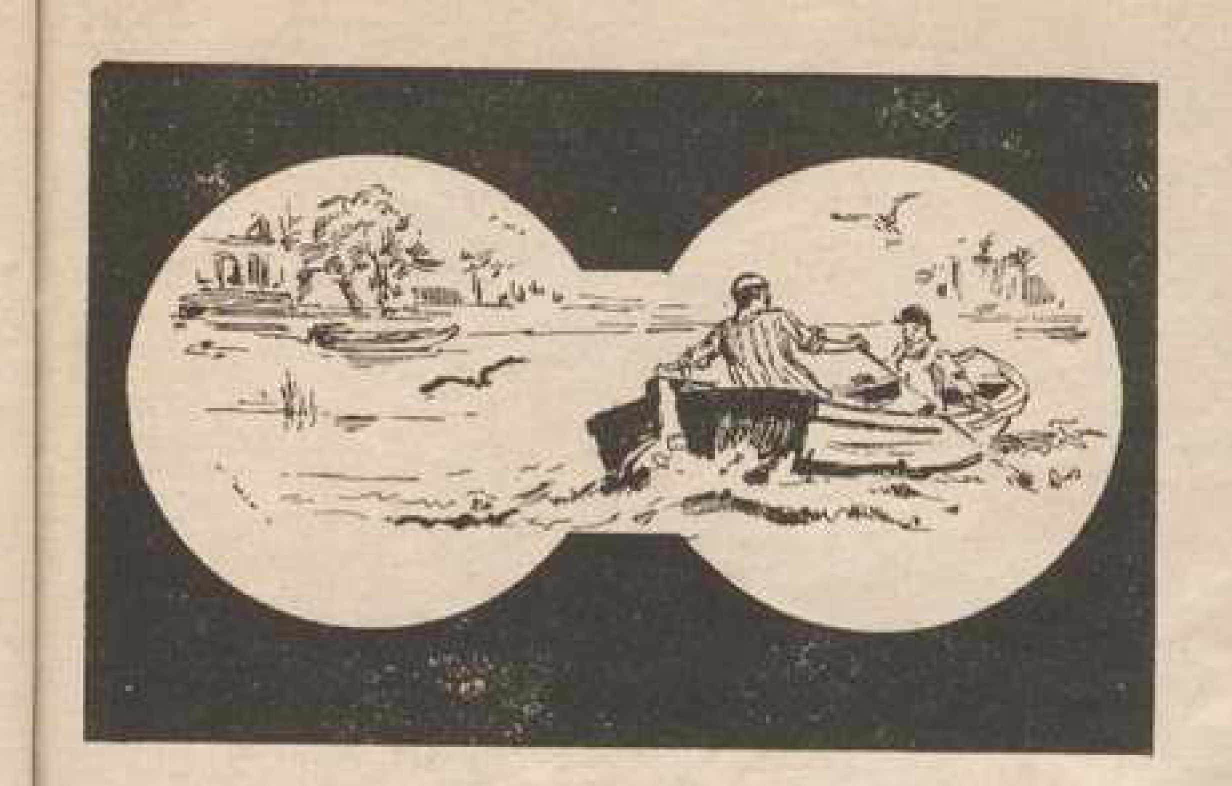
واحمر وجه " غالب " من الغضب والغيظ . فالساعة قد تجاوزت الثالثة وسوف يصبح الضوء فى مدى ساعتين أو أقل غير كاف للبحث عن الصندوق . . وسوف يضطر للانتظار لليوم التالى ما دام هؤلاء الأولاد يقفون فى طريق وصوله لغايته ويثيرون انتباه الناس من حوله بنباح هذا الكلب اللعين .

اقترب منهم بقاربه وقال وهو يحاول أن يسيطر على نبرات صوته حتى يبدو فى صورة الناصح الأمين : إن البحيرة فى هذه المنطقة خطيرة جدًا . . وأنصحكم بالابتعاد عن هذا المكان .

فأجابته " فلفل " فى خبث : ولماذا لا تبتعد أنت بقاربك من هنا ؟ .

فرد عليها فى غيظ : هذا ليس من شأنك .

فقالت السيدة التى معه والتى جزم الأولاد بأنها لا بد



" قمر " : إننا نخشى عليكم ولا نريد غير مصلحتكم . . فأنتم ما تزالون صغاراً .

مشيرة : شكراً لك . . ولكن إخوتى أبطال الجمهورية فى التجديف . . فلا خوف علينا .

وأيقن "غالب" أنه لا فائدة من الحديث مع هؤلاء الصغار المعاندين ولاجدوى من البحث عن الصندوق ، فإن الصغار بطبيعتهم فضوليين وأنه لو شرع فى البحث فلن يهدأ لهم بال حتى يعرفوا ما الذى يبحث عنه .

أما المخبرون الأربعة فلقد قرروا بينهم وبين أنفسهم

ألا يتركوا فرصة " لغالب " للوصول إلى الصندوق قبلهم معتمدين على أنه لن يفطن إلى أنهم قد كشفوا سره . . وبالتالى لن يشك فى تصرفاتهم .

يئس " غالب " من محاولة إبعادهم عن منطقة البحث . . وفضل أن يعود إلى الشاطئ حتى تهدأ الحركة فى البحيرة ويعود هؤلاء الصغار إلى ديارهم ، ولكنه لم يكن يعلم أنهم أكثر دهاء مما يتصور . . . وأنهم ليسوا بالبراعة التى يدعونها !!

وبدأ يجدف نحو الشاطئ على حين تراقبه عيون المخبرين الأربعة من بعيد حتى ابتعد عنهم تماماً . . وهنا ترك " خالد " مهمة التجديف " لفلفل " وجلس يراقب " غالب " بمنظاره المكبر ثم ينقل للآخرين ما لا يستطيعون تفسيره بالعين المجردة قائلا : لقد وصل غالب للشاطئ . . وها هو ذا منهمك فى نقاش مع " قمر " . . إنها تهز رأسها علامة الموافقة على شىء ما . . . إنهما يبتعدان عن شاطئ البحيرة !

فقال " طارق " : إن هذه هى فرصتنا . . . هيا يا " فلفل " جدف بسرعة نحو المنازل وأشجار النخيل الغارقة تحت سطح الماء !

حيلة خبيثة



توقفت "فلفل" عن التجديف بعد أن وصل القارب وسط أشجار النخيل التى لم يكن يظهر منها غير السعف . . أما المنازل فكانت غاطسة وسط مياه البحيرة حتى قمتها تقريبًا . . كان المنظر فريداً أثار تأملات المخبرين الأربعة .

طارق : يا ترى كيف غرقت هذه المنازل وما يحيط بها من نخيل وسط مياه البحيرة ؟ !

خالد : لابد أنها كانت فى يوم ما هى الشاطئ ولكن مياه البحيرة فاضت عليها لسبب أو لآخر .

فلفل : أيًا كان السبب فى غرقها فلقد نجم عنه منظر فريد غريب ! إن صاحب فكرة إخفاء الصندوق فى هذا المكان لابد عبقرى !! فن ذا الذى يفطن إلى وجوده هنا ؟!

أخرج "خالد" قصاصة الورق التى كتب عليها "عطوة" رسالته ، وقرأها على مسامع الآخرين : " نصف تحت . . ونصف فوق . . شد الحبل . . يظهر الصندوق " .

مشيرة : إن الشطر الثانى من الرسالة يعنى أن الصندوق مقيد بحبل طرفه مربوط فى مكان ما فى هذه المنطقة .

فأجابها " طارق " مداعبًا : أنت تقولين شيئًا معقولا لأول مرة يا " مشمش " !

ضحكت " مشيرة " . . وتقبلت هذه الدعابة بصدر رحب على غير عادتها . فلقد أسعدها أن تشترك مع الآخرين فى التفكير والتدبير .

فلفل : لو فرضنا أن أحدنا هو " عطوة " وأنه جاء يبحث عن مكان يربط به طرف الحبل الذى قيد به الصندوق الذى يحتوى على حصيلته من الغنائم ، يا ترى ماذا كان يفعل ؟!

خالد : لو كنت مكانه لكنت أفكر أن أربطه فى مكان ثابت لا تجرفه الأمواج وفى الوقت نفسه يكون بعيداً عن أعين الفضوليين .

طارق : إن أقرب احتمال فى اعتقادى هو هذا النخيل ، فلو أن طرف الحبل ربط حول ساق إحداها تحت سطح الماء

مباشرة فإنه لن يتزحزح عن موضعه .

فلفل : هذا شيء طبيعى نتيجة لخشونة الساق وهدوء مياه البحيرة التى لن تحركه من مكانه .

خالد : إذن دعونا لا نضيع مزيداً من الوقت وألا نعتمد على الحظ أكثر من اللازم . . فقد يعود " غالب " بين لحظة وأخرى وربما فى هذه المرة لا تسلم الجرة !

" طارق " موجهاً حديثه لابنة خالته : اقتربى يا " فلفل " بقدر الإمكان من سيقان النخيل علنا نستطيع العثور على الحبل مربوطاً فى إحداها .

بدأت " فلفل " تجدف من جديد . . وتقترب بمهارتها المعهودة فى التجديف من سيقان النخيل بقدر الإمكان وتتوقف إلى جانب كل منها . . فيمد " خالد " و" طارق " أذرعهما قدر ما يستطيعون يتحسسونها بحثاً عن الحبل . . ولم تكن هذه بالمهمة السهلة وبخاصة أن مياه البحيرة كانت شديدة البرودة .

مضى الوقت والمخبرون الأربعة يواصلون البحث عن الصندوق فى مثابرة . . " فلفل " تجدف و" طارق " و" خالد " يبحثان عن الحبل . . أما " مشيرة " فقد وضعت

المنظار المكبر على عينيها لمراقبة الشاطئ . . وبدأ التوتر يسود الجو . . فلقد أوشكت الشمس على المغيب وسوف يتعذر مواصلة البحث بعد فترة وجيزة . . وربما يعود " غالب " فى أى لحظة الآن اعتقاداً منه أنهم قد ابتعدوا عن مكان الصندوق. وفجأة صاح " طارق " : لقد أمسكت به !! لقد أمسكت بالحبل !!

وترددت صيحات من الدهشة والفرحة والمفاجأة واندفع " خالد " و" مشيرة " يمدون أذرعهما للتأكد من وجوده واختل توازن القارب . . فأسرعت " فلفل " تميل على الناحية المقابلة وهى تصيح فيهم : إن القارب قد ينقلب نتيجة لهذا الاندفاع والضغط على جانب واحد . . ولا أحسبكم تريدون السباحة فى هذا الجو البارد !

تراجع " خالد " و" مشيرة " إلى مكانيهما تاركين مهمة شد الحبل " لطارق " الذى انتظر حتى هدأ اهتزاز القارب ثم هم بجذبه . . وعندما التفتت " مشيرة " نحو الشاطئ راعها أن ترى " غالب " و" قمر " يتجهان إليهم بقاربهما فشهقت فى ارتباك قائلة : إن " غالب " يتجه نحونا بقاربه . . لا بد أنه فطن لهدفنا !

خالد : لا ترتبكى يا " مشيرة " وإلا ضاع كل شىء . . أرجوك أن تحتفظى بهدوئك . . فإنه ما زال على مسافة منا . . ثم التفت لأخيه قائلا : هيا يا " طارق "، شد الحبل بسرعة .

بدأ " طارق " يشد الحبل بيدين مرتعشتين . . وقلب ينتفض . . وهو يرمق قارب " غالب " الذى كان يقترب منهم بأسرع مما كان يتصور .

مرت اللحظات وكأنها ساعات وعيون المخبرين الأربعة قد تعلقت بالحبل . . وأخيراً همس " طارق " : إننى أرى الصندوق بكل وضوح . . ماذا أفعل به الآن ؟ !

فقالت " مشيرة " بصوت مهزوز : لقد فات الأوان ، فإن قارب " غالب " قد أصبح على مقربة منا . . وسوف يرى هو أو " قمر " الصندوق إذا ما رفعته من الماء .

وللمرة الأولى كانت " مشيرة " محقة فى مخاوفها . . فلقد كان " غالب " يقترب منهم وعيونه هو و" قمر " عليهم . . بعد أن بدأ القلق يساور نفسيهما منذ شاهدا الأولاد عند عودتهم فى المكان نفسه الذى تركاهم فيه منذ مدة .

وأصبح من المتعذر إخراج الصندوق من تحت سطح الماء . . وظل المخبرون الأربعة لحظات فى ارتباك لا يدرون كيف يتصرفون ! !

وفجأة قالت " فلفل " : هل هو صندوق ثقيل يا " طارق " ؟ !

فأجابها : لا . . إننى أستطيع أن أرفعه بكل سهولة . . ولكنى لا أستطيع المخاطرة .

فعادت " فلفل " تقول : إن هذا ليس مقصدى .

نظر إليها الجميع فى استفسار . . ولكنها بددت تساؤلاتهم عندما أخرجت مطوتها الصغيرة من جيبها وأعطتها لـ " خالد " قائلة : " إليك المطواة يا " خالد " . . هيا اقطع بها الحبل من منتصفه . . ثم اسحب الصندوق خلفك بدون أن ترفعه من تحت سطح الماء . . وسوف أبدأ أنا التجديف نحو الشاطىء .

كانت فكرة ذكية قد تخرجهم من ورطتهم بدون أن يشعر " غالب " أو " قمر " بشىء . . وبدون أن يفطنا إلى أن الصندوق الذى جاءا للبحث عنه يبتعد عنهما فى هدوء بدون أن يشعرا .

وارى " خالد " يديه خلف جسم المركب وبدأ يقطع الحبل الذى أمسكه له " طارق " فى وضع أفقى حتى تسهل له عملية قطعه . . ومضت لحظات و" خالد " يحاول قطعه

بمطواة " فلفل" الصغيرة. . وكانت " مشيرة " تستحثه كل لحظة وأخرى : " بسرعة يا " خالد".. إن " غالب " يقترب أكثر وأكثر !

وفجأة بدأ "فهد" ينبح فى جنون .. فلقد أصبح " غالب " على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار وأيقن الجميع أن الفرصة قد ضاعت عليهم . . بعد أن كان الصندوق قد أصبح بين أيديهم .

وأخيراً . . وبعد أن يئس الجميع من تحقيق ما خاطروا من أجله . . قال " خالد" وهو يبتسم فى ارتياح : هيا جدفى نحو الشاطئ يا " فلفل " !

وتنفس الجميع الصعداء . . وفى لمح البصر بدأت " فلفل " تجدف فى ضربات قوية سريعة نحو الشاطئ . . وقد دلى " طارق" ذراعه تحت سطح الماء . . مطبقاً بأصابعه على الحبل . . ساحباً خلفه الصندوق فى هدوء

كان قارب " غالب" قد أصبح على مسافة قريبة جداً منهم . . عندما بدأت " فلفل" تغنى أغنية قديمة لا تعرف غير مقطعها الأول . . ولكن لم يخطر ببالها أغنية أخرى فى هذه اللحظة . . وفهمت " مشيرة" مقصدها فبدأت تغنى معها

فى صوت يشوب نبراته بعض التوتر ، وكأن شيئاً لم يحدث وكأنهم يستمتعون بكل لحظة فى هذه النزهة الممتعة !

انتقل " خالد" فى هدوء يجلس بجانب " فلفل" يساعدها فى التجديف ، ولم تمض لحظات حتى ابتعد قاربهم عن قارب " غالب " الذى أخذ يراقبهم هو و " قمر" وقد بدت على وجهيهما أمارات الراحة وهما يشاهدان هؤلاء الصغار وكلبهم اللعين الذى لا يكف عن النباح متجهين نحو الشاطئ . . وما إن اطمأنا إلى أنهم لن يعودوا مرة أخرى إلى منطقة البحث . . حتى بدأ " غالب" يجدف نحوها وهو على ثقة من أنه سوف يستطيع الوصول إلى الصندوق هذه المرة بدون إزعاج من أحد .

قال " خالد " وهو يبتسم فى سعادة : ها نحن قد ابتعدنا عن " غالب" وأصبحنا على بعد أمتار من الشاطئ . . يا ترى ما العمل الآن ؟!

" طارق" ضاحكاً : بالنسبة لى فإن أهم شىء هو أن أريح ذراعى من هذا الحمل الثقيل . . وأخرج يدى من هذه المياه المثلجة .

فلفل : إننى أذكر أننا قد رأينا نقطة للشرطة عند مفترق

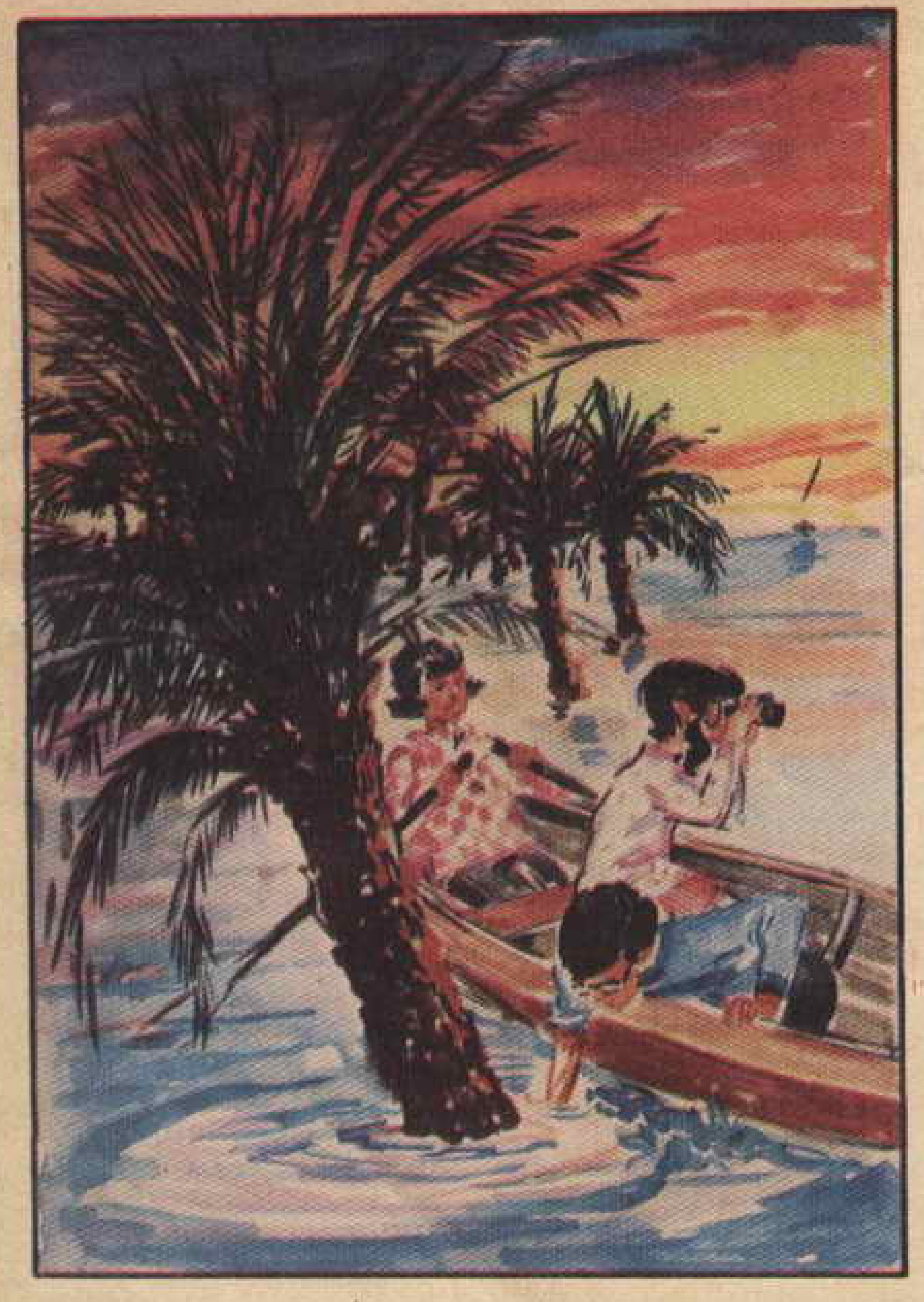
الطريق المتجه إلى مدينة الفيوم والمتجه إلى الأوبرج ، ونستطيع فور وصولنا للشاطئ أن نلجأ إليها ثم نترك الأمر بعد ذلك للبوليس .

وضعت " مشيرة " المنظار المكبر عن عينيها والتفتت تراقب تحركات " غالب " ثم قالت : إن " غالب " ما زال يتنقل بين أعواد النخيل بحثاً عن الحبل .

فرد " خالد " : حسناً إن هذا سوف يترك لنا فرصة كافية للوصول إلى نقطة الشرطة . . وحتى إذا فطن إلى أننا قد عثرنا على الصندوق وجاء فى أثرنا فلن يستطيع اللحاق بنا لأن المسافة بيننا كبيرة .

كانت فرحة " غالب " و" قمر " شديدة عندما عثرا على الحبل مربوطاً فى أحد سيقان النخيل . . ولكن هذه الفرحة لم تدم للحظات . . بل تلاشت فور أن شد " غالب " الحبل فلم يشعر بثقل وزن الصندوق . . وتلعثمت الكلمات على شفتيه عندما جذب الحبل ولم يجد شيئاً فى آخره . . وقال فى ذهول : إن الصندوق قد اختفى !!

ومرت لحظات لم تستطع فيها " قمر " أن تنطق بحرف واحد من هول المفاجأة ، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها قائلة : إن أحداً لا يعرف شيئاً عن هذا الصندوق.. ولا أشك أن الشرطة قد علمت بأمره . . وإلا لتداول الناس أنباء الخبر . .



مضى الوقت والمخبرون الأربعة
يواصلون البحث عن الصندوق



إن من حصل على هذا الصندوق قد عثر عليه بطريقة الصدفة وهو لا يعلم ماذا يحوى .

فرد "غالب": معك حق يا ست "قمر" ولكن من عساه يكون هذا الشخص ؟

فأجابته فى دهاء : لا بد أنهم الصغار الذين كانوا فى هذا المكان منذ برهة .. فلقد مكثوا هنا أكثر مما ينبغي . . وعندما اقتربنا منهم كانوا منهمكين فى شىء لا أعرف كنهه .. وإنى أرجح أنهم كانوا قد عثروا على الصندوق فى هذه اللحظة .

فأجابها " غالب " : معك حق فى كل ما تقولين . . سأجعلهم يدفعون ثمن هذا الفضول .

وبضربات هستيرية . . محمومة . . أخذ " غالب " يجدف نحو الشاطئ فى جنون ، ومن بعيد استطاع أن يلمح المخبرين الأربعة وهم يرفعون صندوقًا صغيراً من الماء ثم يندفعون — وقد حمله أحدهم — جريًا بمحاذاة الشاطئ .

وصرخ " غالب " بصوت مزلزل : انتظروا . . انتظروا . . إن هذا الصندوق ملك لنا !

وما إن سمعه الأولاد حتى صاح " خالد " فيهم : هيا بسرعة . . اجرى يا " مشيرة " هيا يا " فلفل " . . فإن " غالب " قد فطن إلى أننا قد حصلنا على الصندوق ! ! ولكن " مشيرة " تذكرت فى هذه اللحظة أمتعتهم . . فقالت : إن أمتعتنا ما زالت فى البيت المهدم ! !

فأجابتها " فلفل " : " سأحضرها . . فما زال " غالب " على مسافة من الشاطئ . . ثم اندفعت تجرى نحو البيت . . والثلاثة الآخرون يصيحون خلفها : ارجعى يا " فلفل "! وسوف نعود لأخذها فيا بعد .

ولكن " فلفل " كانت قد صممت على إحضارها . .

بالإضافة إلى أنها لم تكن تشعر بالخوف و" فهد " إلى جانبها وأسرعت تجرى وهو يلاحقها كظلها . . فى الوقت الذى اندفع فيه الآخرون نحو نقطة البوليس .

وعادت " فلفل " بعد قليل وقد حملت على كتفيها حقيبتها وفى يديها أمتعة الآخرين . . وأسرعت تجرى خلف أولاد خالتها الذين لم يكونوا قد ابتعدوا كثيراً ، فلحسن الحظ لم يكن البيت المهجور يبعد عن البحيرة بمسافة طويلة . . ولكنها فوجئت بقارب " غالب " على بعد أمتار من الشاطئ .

وما إن رآها حتى أخذ يصيح : إن الصندوق الذى عثرتم عليه ملك لنا إنتظروا أيها الملاعين . . انتظروا .

ولم تدر " فلفل " ماذا تفعل !! هل تلحق بالآخرين الذين كانوا ينادون عليها فى انفعال ؟! أو تقف هى و" فهد " للتصدى " لغالب "علهما يعطلانه قليلا إلى أن يصل الآخرون إلى نقطة البوليس !! ولكن " فهد " وفر عليها مشقة التفكير فلقد اندفع بغريزته الفطرية نحو هذا العدو الذى أخذ يصرخ فى وجه صديقته . . وهو يزمجر فى شراسة . . وكأنه يتحداه فى الاقتراب من " فلفل " ولو لخطوة واحدة ! واغتنمت هى



ولم يستطع « غالب » أن يتقدم غير خطوات معدودة . . ووقف مترددا . . خائفاً من « فهد » !

الفرصة فأسرعت تجرى خلف أولاد خالتها وهى على يقين أن " فهد " سيلحق بها فى الوقت المناسب . . وما إن اقتربت منهم حتى اندفع " طارق " عائداً إليها ليخفف عنها ما تحمله من الأمتعة . . ثم انطلقا معًا خلف " خالد " الذى تركوا له مهمة حمل الصندوق . فلقد كان أسرعهم عدواً . . أما " مشيرة " فلم تكن تحمل شيئًا غير المنظار المكبر . . وبرغم ذلك كانت تجرى وهى تلهث مما اضطر " طارق " و " فلفل " إلى تشجيعها ما بين آن وآخر . . حتى تستطيع مواصلة المشوار . .

قفز " غالب " من القارب تاركًا " قمر " فى مكانها بعد أن تسمرت فيه عندما لمحت " فهد " يتجه نحوها فى تحد . . ولكن " غالب " برغم ما أبداه من شجاعة فى مواجهة " فهد " . . لم يستطع أن يتقدم غير خطوات معدودة برغم ما عرف عنه بين أهالى المنطقة من شراسة . . وقف متردداً أمامه يخشى الاقتراب من هذا الكلب المتنمر الذى كان على استعداد للدخول معه فى معركة ضارية . . وزاد من شقائه وغضبه أنه لم يستطع مراوغته يمينًا أو يساراً .

كان المخبرون الأربعة يجرون وهم يلتفتون خلفهم

من آن لآخر . . يراقبون ما يجرى من بعيد . . وما إن اطمئنوا إلى ابتعادهم تماماً عن " غالب " حتى نادت " فلفل " " فهد " بأعلى صوتها لكى يلحق بهم ، ولكنه تردد قليلا خوفاً من أن يترك الفرصة لهذا العدو للوصول إليهم .. ولكنه كان مدرباً على إطاعة الأوامر فلم يستطع أن يعصى نداءها عندما سمع صوتها للمرة الثانية . . وتنفس " غالب " الصعداء وبدأ يجرى هو الآخر خلف هؤلاء الشياطين الذين وقفوا فى سبيل وصوله إلى غايته . . ولكن " فهد " توقف فى منتصف الطريق بعدما أحس بخطوات " غالب " فى أثره واندفع يتصدى له مرة أخرى . . وتراجع " غالب " للوراء وهو يلعن ويسب . . ولكنه لم يجرؤ على التقدم أمام إصرار هذا الكلب اللعين على ملاحقته .

وصل المخبرون الأربعة أخيراً إلى نقطة الشرطة . . فاندفعوا يدخلونها وهم يلهثون من التعب . . ولكنهم كانوا يشعرون أنهم قد وصلوا إلى بر الأمان .

وما إن التقطت " فلفل " أنفاسها . . بعد أن وصلوا إلى نقطة الشرطة حتى أطلقت صفارة عالية . . يعرفها " فهد " تمام المعرفة . . امتثل لها فور سماعها غير عابئ

" بغالب " الذى ما إن رأى الأولاد يدخلون مبنى نقطة البوليس . . حتى توقف عن الجرى فى ذهول وقد أدرك أنهم لابد كانوا يعرفون شيئاً عن محتويات الصندوق . . ولكن هذا الإدراك جاء بعد فوات الأوان .

وفى نقطة الشرطة استمع الضابط لحكاية المخبرين الأربعة باهتمام وعلى وجهه أمارات الدهشة لسماع هذه القصة الغريبة التى لعبت فيها الصدفة دوراً كبيراً . . ولشجاعة هؤلاء الصغار الذين تصرفوا بذكاء نادر . . ثم بدأ يفحص الصندوق المصنوع من المعدن الذى أحكم إغلاقه بلحام سميك لم يستطع فكه إلا بسلاح حاد . . وظهرت الدهشة بالغة على وجوه الجميع عندما أزاح الضابط غطاء الصندوق فبانت بداخله كمية كبيرة من المصوغات الذهبية التى لم تؤثر على بريقها الأيام . . إذ لم تتسرب نقطة واحدة من الماء إليها .

قال الضابط : إننى لا أعرف كيف أعبر لكم عن تقديرى لما بذلتموه من جهد فى خدمة العدالة . .ولكن كل ما أطلبه منكم الآن هو أن تعودوا إلى منزلكم وسوف أحضر مع وكيل النيابة لآخذ أقوالكم غداً . .

ولكن " مشيرة " قالت معترضة : ولكن " غالب " قد

يتصدى لنا إذا ما خرجنا من هنا .

ضحك الضابط وقال وهو يربت على كتفها : لا تخافى ياصغيرتى فسوف أستوقف لكم إحدى سيارات النقل الذاهبة إلى مدينة الفيوم . . وسوف أطاب منها توصيلكم حتى باب البيت . أما " غالب " فسوف يكون لنا معه شأن آخر .

كان " غالب " ما زال يقف فى منتصف الطريق لا يدرى ماذا يفعل . . هل يتجه إلى نقطة الشرطة مدعياً أن الصندوق ملك له ؟! وهو الأمر الذى قد يجر عليه وابلا من الأسئلة هو فى غنى عنها ، أو يتريث قليلا حتى تتضح الأمور ؟! فهو ما زال يستطيع الادعاء – إذا ما لزم الأمر – بأنه لا يعرف شيئًا عن هذا الصندوق .

ولكن الشرر كان يتطاير من عينيه . . وأعماه الغضب والغيظ وهو يرى الأولاد – الذين كانوا السبب فى نكبته – يركبون سيارة نقل مبتعدين عنه إلى غير رجعة ، بدون أن يدرى ما الذى تم فى شأن الصندوق . . ولكنه كان يدرك أنه قد ضاع إلى الأبد . . ووقف وحيداً على الشاطئ . . لايصدق أن هؤلاء الصغار قد أضاعوا منه حصيلة هائلة من الغنائم .

كانت السيدة " خديجة " تتناول طعام الإفطار مع

المخبرين الأربعة . . عندما دخلت " فاطمة " مهرولة وقد بدا على وجهها أمارات الجزع قائلة : لقد حضر اثنان من الضباط للسؤال عن " فلفل " وأولاد خالتها . . ورفض كل منهما الإفصاح عن السبب برغم أننى حاولت أن أستفسرهما عما يريدان !!

فالتفتت السيدة " خديجة " إلى الأولاد متسائلة فى قلق : ماذا فعلتم يا أولاد ؟!

خالد : لاتخشى شيئًا يا عمتى . . فلم نفعل إلا كل خير . . ثم التفت إلى " فاطمة " قائلا : دعيهم يدخلون يا " فاطمة " وسوف ننزل فى الحال لاستقبالهم .

لم يطمئن كلام " خالد " السيدة " خديجة " . . وذهبت للقاء الضباط وهى تتوجس خيفة . . ولم تشعر بالراحة إلا عندما سمعت القصة بأكملها . . وهى غير مصدقة أن هؤلاء الصغار الذين كانت تخشى عليهم المبيت فى معسكر ، قد تمكنوا من كشف سر غامض غريب ، ومن التصدى لرجل شرس مثل ذلك المدعو " غالب " !

قال الضابط بعد أن سمع من المخبرين الأربعة تفاصيل مغامرتهم بأكملها : إننا جئنا إليكم لنشكركم على ما قمتم به لمساعدة العدالة فى العثور على صندوق المجوهرات . . هل

تودون معرفة من هى صاحبة صندوق المجوهرات ؟

فلفل : بكل تأكيد يا حضرة الضابط .

الضابط : إن المصوغات ملك لسيدة عجوز ثرية تقيم فى هذه المنطقة . . ولقد ظلت الشرطة بعد أن وصلها البلاغ تبحث عنها . . ولكن لم تسفر هذه المحاولات عن شىء ، فلم يكن هناك أى دليل مادى يستطيع رجال الشرطة الاستناد إليه . . وكانت مفاجأة لنا جميعًا عندما تمكنتم أنتم من اكتشاف مكانها بمحض الصدفة . . وبفضل ذكائكم .

خالد : وكيف تأكدتم أن المجوهرات التى وجدت بالصندوق هى نفس ما سرق من تلك السيدة ؟ !

وابتسم الضابط قائلا : لم يكن ذلك بالأمر الصعب ، فلدينا نشرة بمواصفات المسروقات ، كما أننا عرضناها على تلك السيدة ليلة أمس ، فتعرفت عليها فى الحال . . وعندما سمعت منا قصة العثور عليها . . أصرت على أن تتعرف عليكم وطلبت منى أن أنقل إليكم دعوتها لكم إلى الغداء غداً ، وأن أبلغكم إذا وافقتم على الدعوة ، بأنها سوف ترسل لكم سيارتها إلى هنا لكى تنقلكم إلى منزلها .

فأجابه " طارق " بلا تردد : إننا نقبل دعوتها بكل سرور

يا حضرة الضابط ولكن بشرط واحد .

الضابط : ما هو ؟

طارق : أن تعد لنا فطيراً . . وعسلا . . وقشدة . . فهذه هى أكلتنا المفضلة !

وضحك الكل فى تعجب . . فقد أدهشهم رد " طارق " الذى ما كان لينسى الأكل حتى ولو كان فى أحلك الظروف .